9me Année No. 395

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 27 - 1 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٩٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٧ يناير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

فى ســـــوق الوراقين

للأستاذ عباس محمود العقاد

راجت سوق الـكتب القديمة بعض الرواج فى هذه الأيام كما راجت فى أيام الحرب الماضية ، لأن الوارد من كتب أوربا قليل ، ولأن طالب الـكتاب الأوربى الجديد ينتظره طويلاً قبل أن يتلقاه فى البريد ، فإذا وجده مقروءاً قديماً فذلك خير من انتظاره جديداً بكراً بعد أشهر أو أسابيع ، ومن هنا تروج الـكتب العربية القديمة التى ترد من أوربا أو التى طبعت فى هذه البلاد ، لأن الذى يبيع مكتبته عند إحساسه بارتفاع الأسعار يبيع منها الأفرنجى والعربى على السواء

وفى سوق الوراقين وباعة الـكتب القديمة فلتات كثيرة من التاريخ ، وفلتات كثيرة من الأخلاق ، وفلتات كثيرة من العجائب : نسميها فلتات لأن المرء يجدها معروضة بين يديه دون أن يطلبها ، وقد تكون الفلتة منها أنفس وأولى بالاقتناء من البغية المطلوبة

أذكر أنى عثرت بكتاب لى عليه تعليقاتى وملاحظاتى بعد فقده بخمس وعشرين سنة ، ولو علم بائعه سره عندى لغالى بثمنه ، ولـكنه أعطانيه وهو مفرط فيه مسرور بما نقدته من ثمن قليل بالقياس إلى رغبتى فيه ، كثير بالقياس إلى رغبة البائع فى تصريفه

وأذكر أنى عثرت على عدة أجزاء من كتاب فى إحدى المكتبات، ثم عثرت بعد حين على الناقص منه فى مكتبة أخرى

وأخبرنى بعض الإخوان أن كتاباً من مكتبة الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل التى بيعت فى انجلترا وفاء ببعض الغرامات مازال يطوف الأرض حتى وصل فى مصر إلى يد أديب من المعجبين بالفيلسوف العظيم، فاشتراه وأرسله إلى صاحبه وتلقى منه جواباً بالشكر والتحية لا يزال من أعز محفوظاته

وإلى جانب هذه العجائب والمصادفات عجائب أخرى من أخلاق الناس وولعهم بضروب الاقتناء والادخار

فهذه كتب جديدة قديمة معروضة للبيع بعد طول احتباسها على الرفوف، وهى جديدة لأنها غير مفضوضة ولا مقروءة، وقديمة لأنها اشتريت منذ عهد بعيد

لماذا اشتراها المشترى وهو لا يقرأها، ولعله لم يكن ينوى أن يقرأها؟... هذا العجب من بعض الأخلاق والعادات. فقد عرفت أناساً يغالون بشراء الكتب على قدر قدمها فى الطبع وندرتها فى الأسواق؛ وأناساً يبذلون فى الكتاب من الثمن على قدر سعة الهامش وصلاح الكعب للتجليد!

ويحضرنى هنا أن الأوربيين يصنعون من الخشب نماذج لها شكل الكتب من بعيد، يملأون بها الرفوف العالية من المكتبات ويشغلون الرفوف السفلى بالكتب الصحيحة التى تقتنى للمظهر لا للقراءة، لأن قصراً بغير مكتبة معابة فى البلاد الأوربية، فلا غنى لبعض أصحاب القصور عندهم عن هذا التشبيه والتزييف

أما نحن فلم نرتفع بعد إلى هذه المرتبة!

لأن خلو القصور من المكتبات عندنا لا يعاب، فلا حرج على صاحب قصر أن تسأله عن مكتبة فلا تراها، وإن كان يتحرج من خلو القصر من الاسطبل... والقصر كله بمن فيه وما فيه أحرى أن يحسب فى الاسطبلات!

* * *

والمصادفة التى صادفتها اليوم فى سوق الوراقين هى شىء من غير هذا القبيل: هى كتب الدكتور شبلى شميل مرصوصة كلها فى رزمة واحدة، ومعها رواية له عن الحرب الماضية كنت أتوق إلى الاطلاع عليها ولا سيما بعد شبوب نيران هذه الحرب القائمة، فكانت مصادفة «ورّاقية» من أحسن المصادفات

نظرت إلى كتابه عن «فلسفة النشوء والارتقاء» — وهو الجزء الأول من مجموعته — فعادت بى الذاكرة ثلاثين سنة إلى يوم صدور هذا الكتاب النفيس

كان الدكتور شبلى شميل فقيراً كما ينبغى للأحرار الشرفاء من أمثاله فى بلادنا الشرقية، وكان عسيراً عليه أن يطبع مجموعته بغير معونة من أصحاب الأريحية الغيورين على العلم والثقافة. فلما تبرع له المتبرعون بالمعونة الكافية طبع المجموعة فى جزءين، وذكر أسماءهم جميعاً ومقدار ما تبرعوا به فى ختام الجزء الثانى، وقدم الأسماء بهذه العبارة الصريحة الحكيمة: «أذكرها مجردة عن النوانى مكتفياً بجمال الأعمال، وكم يجمل بالناس أن يتعودوا ذلك اختصاراً للوقت وانصرافاً للجد. وسيكون ذلك منهم متى غلب النظر إلى الجوهر على الاستمساك بالعرض فى كل أعمالهم»

وجعل الدكتور ثمن المجموعة الواحدة جنيهاً مصرياً عدا أجرة البريد، وهو ثمن معتدل لنفاسة طبع الكتاب ونفاسة موضوعه، وقلة الراغبين فى قراءة هذه الموضوعات

ولكن الجنيه ثمن مرهق للشاب الخالى من العمل، وكنت يومئذ خالياً من العمل مريضاً أستشفى ببلدتى أسوان وأشعر بما يشعر به المريض الخالى اليدين من تكاليف العلاج

فكتبت إلى الدكتور ما فحواه: «إنى أعلم أنك تدعو إلى الاشتراكية الصالحة التى تتجنب الغلواء، ومعنى ذلك أنك تأبى على الأغنياء أن يحتكروا موارد المال، فما بالك الآن تريد أن يحتكروا موارد العلم والمال معاً، وهل تحسب أن أحداً من غير الأغنياء يقوى على شراء كتاب بجنيه؟»

فما هو إلا أن وصل الخطاب إلى الدكتور ووصلت الصحف اليومية إلى أسوان حتى قرأت فيها أن الدكتور شميلاً قد أهدى مائة نسخة من مجموعته إلى الأدباء والطلاب، ولم يمض يوم أو يومان حتى جاءنى الجزء الأول ومعه خطاب منه يشبه الاعتذار لما فاته من ذكر هذه الحقيقة بغير تذكير، ويشبه الشكر على أننى قد نبهته إلى ما كان خليقاً أن يتنبه إليه!

هذه قصة عارضة تلخص مناقب هذا الرجل الحر الصريح الشريف أوفى تلخيص

فهو عالم يحب العلم والتعليم ، ويعمل بما يقول ، ويؤمن بالحجة المقنعة ولو كانت فيها خسارة عليه ، ثم يبادر إلى العمل بما يقتضيه ذلك الإيمان ، وليست مائة جنيه بالخسارة الهينة على رجل محدود الوارد كانوا يحاربونه فى رزقه وفى طبه وفى مؤلفاته وإن كان كسب الألوف ميسوراً له لو أنه نسى أمانة العلم وانصرف إلى طلب الثراء من حيث يطلبه أصحاب الأقلام

أخذت المجموعة كلها من جديد ، وأخذت معها الرواية التى كنت أتوق إلى مطالعتها فإذا العجب فيها أعجب من هذه المصادفة ، لأنها نبوءة صدقت فى الحرب الماضية قبل انتهائها بأكثر من ثلاث سنوات ، ولو نشرها ناشر على أنها مما يقال فى الحرب الحاضرة لما احتاج فى إعادة نشرها إلى تبديل كثير .

قال بلسان أحد أبطال الرواية وهو المدعى العام الذى يشرح تهمة الإمبراطور أمام المحكمة الدولية : « إنه لغريب جداً أن أمة كالأمة الألمانية حاصلة على قسط وافر من العلم تخضع خضوعاً أعمى لنظام إمبراطورية كنظامها عريق فى الأثرة والاستبداد . وأغرب من ذلك دعواها وهى فى رق هذا الحكم أنهاذات (كلتور) يجعل تربيتها أرقى من تربية سائر الأمم العريقة فى الحضارة . ونحن مع اعترافنا بأنها بلغت شأواً بعيداً فى العلم والصناعة ونالت امتيازات جمة على سواها لا يجوز لنا أن نجهل أن هذا الكلتور الذى تفاخر به يجعلها عبدة لنظام حكومة يديرها فرد أو أفراد غير مسئولين حقيقة . وقط ما كان العبد أرقى من الحر . وإذا كان فى علمها وعملها شىء كثير من الإتقان فإنك قلما تجد فيهما شيئاً من الابتكار ، لأن العبد إذا كان أصبر على العمل فالابتكار من امتيازات الحر وحده . وإذا كنا نراها تتعمد الشر كثيراً لسواها وتستخدم علمها لهذه الغاية خلافاً للآخرين فلأن ذلك من أخلاق العبيد . ولولا أن تكون هذه الأخلاق غريزية فى هذه الأمة لما مالأت إمبراطورها على جنايته الكبرى مع ما هى عليه من العلم ، ولأدركت حينئذ أن الأمم التى قامت لتذلها وسعت لتبديدها لكى تحل محلها إنما هى أعضاء نافعة فى جسم العمران ، بل لعرفت أن نجاحها هى نفسها لا يتم لها بدون التعاون معها ... »

إلى أن قال وما أشبه الليلة بالبارحة : « وليس اللام على الأمة الألمانية المتضامنة مع حكومتها فى السراء والضراء مهما أساءت فهم مصلحتها بقدر اللام على مجموع الهيئة الاجتماعية التى يجب عليها أن تكون هى نفسها متضامنة لدفع الشر عنها وتوفير المصلحة لها عموماً ، وهذا انحطاط فى هذه الأمم وحكوماتها يخجل منه اليوم . فعوضاً من أن تهب جميعها هبة واحدة لنصر المجتمع والقبض على الجانى تركته يسرح ويمرح ويعيث فى الأرض فساداً ، وادعت الحياد كأن لا ناقة لها فى ذلك ولا جمل ، وزعمت أنها تستفيد من ممالأته ، فشرعت تنصره فى السر وهى تدعى العزلة فى الجهر ، وهو لو أتيح له النصر لما كان حظها منه إلا الإذلال ؛ وكيف يكون غير ذلك وحظ حلفائه منه ليس أفضل ... أنظروا إلى حليفتيه العظيمتين النمسا وتركيا كيف أنه قبض عليهما بيد من حديد واستخدمهما لمصلحته دون مراعاة أقل مصلحة لهما ، حتى لو أرادتا الانفصال اليوم عنه لما استطاعتا ، كأنهما جزء من مملكته أو مستعمرة من مستعمراته »

وانتهى تأليف الرواية فى نهاية شهر يونية سنة ١٩١٥ قبل انتهاء الحرب الماضية بأكثر من ثلاث سنوات ، وقبل ظهور الهزيمة فى صفوف الألمان بعهد بعيد ، بل انتهت وهم منتصرون متقدمون ، فإذا به يجزم بهزيمتهم ويصدق النبوءة حين يقول فى لهجة الثقة واليقين :

« قد يستغرب القارئ — وقد أنهيتها بهذه الصورة — مع أن الألمان حتى الآن فى انتصار . ولكن من يقدر الأمور بعين الناقد البصير يعلم أن الألمان من بعد فشلهم فى حملتهم على باريس لم يعد يرجى لهم تحقيق حلم ، وما انتصاراتهم الجزئية اليوم إلا تطويل لأجل الحرب . ولذلك هم اليوم يتخبطون ويبذلون آخر ما عندهم من الجهد عسى أن يحرزوا من النصر ما يحمل الآخرين جميعاً أو فرادى لعقد صلح لا يغبنون فيه ولا يثلم مقام امبراطورهم لدى أمته التى جر عليها كل هذه المصائب على غير جدوى أو بخسائر لا تعوض . لأنه يستحيل اليوم أن يرجع العالم ويثق بهم ويخلص لهم ويفتح أبوابه لمتاجرهم ويحسن الظن بعلمهم وعلمائهم كما كان فى الماضى . فهم فى هذه الحرب خاسرون كل شىء : المقام الأدبى والمركز الاقتصادى التجارى ... وانتصار الألمان على الروس اليوم وحفظ مراكزهم فى الأماكن

أخـــــلاق القرآن

العفـــو

للدكتور عبد الوهاب عزام

العفو خلق يسمو بصاحبه عن الانتقام ، ويكبر به عن المجازاة ، ويتعالى عن أن ياتى الشر بالشر ويجزى السيئة بالسيئة . العفو خلة تؤثر الرحمة على العقاب ، وتحل المودة محل العداوة ، والوئام محل الخصام . ترى الرجل يؤذى فى نفسه أو ماله فإذا قدر على خصمه استكبر أن ينزل إليه فيأخذه بجريرته ، وآثر أن يغفر ويرحم ، ووجد فى هذا الإحسان من العزة والعظمة والطمأنينة ما لا يجد فى الانتقام ، ولقاء الجناية بجزائها

وإنما العفو عند المقدرة . فليس الذى يصبر على الضيم ، ويخنع للقوة ، ويستسلم للظلم عفوا ، ولكن خائفاً ذليلاً . رحم الله أبا الطيب الذى يقول :

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام

وقد قال تعالى فى وصف المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقال بعض المفسرين : « كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا »

وعظماء الناس يؤثرون العفو ما لم يجدوا فيه مفسدة لأمر من أمور الدين أو الدنيا . وقد عرف بذلك كثير من ملوك المسلمين ولا سيما الخليفة المأمون العباسى . ورويت فى العفو عند المقدرة أخبار تنبئ عما يملك قلب الرجل العظيم من الحلم والعفو فى الخطوب الجسام . كما أثر من استعطاف المؤمنين فى مقام العقاب ما يذهب بالحفيظة ، ويوجب المغفرة

كانوا يرون العفو وسيلة إلى استصلاح النفوس وإزالة الأحقاد ، وإحلال الوئام محل الخصام فيؤثرونه على الانتقام

قال خالد بن الوليد لسليمان بن عبدالملك : « إن القدرة تذهب الحفيظة ، وقد جل قدرك عن العقاب ونحن مقرون بالذنب . فإن تعف فأهل للعفو ، وإن تعاقب فبما كان منا »

وقال رجل لبعض الأمراء : « أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظر مَن بُرْئى أحبُّ إليه من سقمى ، وبراءتى أحب إليه من جُرمى »

وقال بعضهم : إن عاقبت جازيت ، وإن عفوت أحسنت ، والعفو أقرب للتقوى

والقرآن الكريم يحث على هذا الخلق الكريم ويهدى الناس إلى هذه الخلة التى تلقى جهل الجاهل بحلم العفو ، وشر المسيء بخير الحسن

سمى الله تعالى نفسه العفوّ ، قال : فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوًّا غفورا ؛ وفى آية أخرى : وهو الذى يقبل

التى احتلوها فى الغرب لا يستغربان لمن يعلم أنهم منذ أكثر من نصف قرن ولا سيما فى عهد امبراطورهم الحالى يستعدون لهذه الحرب ويعدون لها العدة . بخلاف خصومهم فقد ثبت أنهم من قلة حذرهم منها وفراغهم من المدة لم يكونوا ينوونها . . . فإذا كان الألمان حتى الآن أقوياء أشداء فذلك طبيعى ، وهم ما خاضوا غمار هذه الحرب إلا وكانوا على أتم الأهبة لها . لكن إذا كان الألمان وهم فى منتهى قوتهم لم يتمكنوا من تحقيق حلمهم ، وخصومهم فى غفلة غير مستعدين ، فهل يرجى ذلك لهم بعد سنة وهم فى تناقص وخصومهم فى تزايد ؟ هذا أمر لا يقبله العقل ، ولا سيما إذا رأينا ما تؤول إليه حالهم بحصر البحار . . . ولهذا كله نرجع ونكرر القول أن انتصارات الألمان اليوم ليست إلا تطويلاً لأمد الحرب وأن مصيرهم فى الآخر إلى الفشل التام »

صدق الدكتور وأصاب فى ذلك الزمان ، وكذب الأغبياء وأخطأوا فى كل زمان . ولقد ذكر الأوربيون لحكمائهم أمثال هذه النبوءات النافذة والنظرات الثاقبة ولم تذكر هذه النظرة للدكتور شميل بين قراء العربية الذين هم أحوج إلى التذكر والاعتبار

فإذا كان صواباً قول بعض الأدباء المازحين للدكتور : « إنك يا صاح نكبة على الناس ، لأنك تخالفهم فى كل ما يقولون » . . . فأصوب منه جواب الدكتور على تلك التحية الجافية حيث قال : « إن كنت أنا نكبة على الناس لأننى أخالفهم فكم نكبة أعانيها وحدى من أولئك الناس وأنا واحد وهم ألوف ؟ » .

عباس محمود العقاد

التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ؛ وقال أيضاً : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ؛ وقال : إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء ، فإن الله كان عفوًّا قديراً .

وقد أمر الله سبحانه الناس بالعفو فقال للرسول صلوات الله عليه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ؛ ويقول : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر . ونهى أن يعاقب المسيء بحرمانه من الصدقة والبر فقال : ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفرالله لكم ؟ والله غفور رحيم

وأجاز القرآن المجازاة بالعدل ولكن جعل العفو أقرب للخير فقال : « وأن تعفوا أقرب للتقوى . » كما قال في وصف المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور . »

وقد أشاد القرآن بالعافين عن الناس ، وبين عظم جزائهم في قوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

وكانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عملاً بأمر القرآن وتأدباً بآدابه . قال رسول الله : « أمرني ربي أن أصل من قطعني وأعفو عمن ظلمني . »

فانظر إليه يوم فتح مكة والجزيرة العربية في سلطانه ، وصناديد قريش طوع أمره ، وقد لقي ما لقي منهم أكثر من عشرين عاماً وفي كل بقعة من مكة والمدينة ذكرى ما لقي من ظلم وعدوان وأذى ، وفي كل جماعة من قريش رجال قد قسوا عليه وعلى أصحابه ونالوا منه ومن دينه ، وصدوا عن دعوته جهد طاقتهم . فما مد إليهم يوم الفتح والقدرة يداً بعقاب ، ولا جازاهم بما فعلوا ولا بأقل مما فعلوا ، بل عفا عنهم عفواً عاماً شاملاً وكان أكبر أعدائه أعظمهم نصيباً من عفوه ورحمته . قال : يامعشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وفر صفوان بن أمية أعدى أعدائه خوفاً من ذنبه ويأساً من العفو، فأرسل وراءه النبي من يؤمنه وأعطاه عمامته أمارة الأمان . فلما طلب منه أن يجعل له الخيار شهرين ليدخل فيما دخل فيه الناس أو يهاجر قال : أنت بالخيار أربعة أشهر

ولما اجتمعت عليه قبائل هوازن بعد الفتح وأرادت أن تؤلب عليه القبائل وترد فتح مكة هزيمة خرج الرسول لحربها وكانت واقعة حنين التي لقي فيها المسلمون ما لقوا من الهزيمة أول الأمر ثم وثب الرسول وانحاز إليه أنجاد أصحابه حتى أنزل الله سكينته ونصره . فلما ظفر بالقوم وقد عظمت جنايتهم ، جزاهم بالإساءة إحساناً وبالذنب عفواً . يقول الطبري :

أتى وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فامنن علينا منّ الله عليك . فقام رجل من هوازن ... فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك (يعني أنهم قوم حليمة مرضعة الرسول)

امنن علينا رسول الله في كرم   فإنك المرء نرجوه وننتظر

فقال رسول الله : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؛ بل تردّ علينا نساءنا وأبناءنا فهم أحب إلينا . فقال : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . فإذا أنا صليت بالناس فقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم

فلما صلى بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به . فقال رسول الله : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » وقال المهاجرون : « وما كان لنا فهو لرسول الله » ؛ وقالت الأنصار : « وما كان لنا فهو لرسول الله » . وقال الرسول :

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أدباء مصر الجنوبية — العقاد الحقود ! — أين متحف وزارة المعارف ؟ — جريمة السكينان في نظر الجنية الحسناء

أدباء مصر الجنوبية

مصر الجنوبية هي السودان ، وهو تعبير جميل ، وزيده جمالاً أنه لم يصدر أول مرة إلا عن أدباء تلك البلاد

والحق أننا فرطنا في حق السودان كل التفريط من الوجهة الأدبية ، وإن لم نتغفل عنه من الوجهة السياسية . ولو أننا بذلنا في خدمة السودان أدبياً معشار ما بذلنا في خدمته سياسياً لوصلنا إلى نتائج باهرة في توحيد القلوب بين من يقيمون هنا ومن يقيمون هناك ، ولكننا تركنا أمر السودان للساسة ، والساسة عندنا لا يفكرون كثيراً في الوسائل التي تجعل تعاطف سكان وادي النيل أمراً طبيعياً لا يحتاج إلى تعب أو نضال

ومن العجيب أن يفكر السودان فينا قبل أن نفكر فيه ، فهو يهتم بأخبارنا ، ويساير حياتنا الأدبية والاجتماعية والسياسية ، ويرى من الواجب أن يتعرف إلينا في كل وقت ، فأين نحن من هذه الشمائل الروائع ؟

أين الباحث الذي فكر في قضاء شهر أو شهرين في السودان لدرس ما هنالك من تطور الآداب والفنون والأذواق ؟

أين الشاعر الذي رأى من واجبه نحو وطنه أن يستلهم الوحي من منابع النيل ؟

أين المؤلف الذي خاطر بجزء من وقته وماله ليخرج كتاباً عن السودان ، وهو اليوم في يقظة أدبية تستحق التسجيل ؟

(مع عرفان الفضل للباحثين داود بركات وعبد الله حسين)

ولنفرض جدلاً أن السودان لا يرتبط بمصر من الوجهة القومية أو السياسية ، فكيف يغيب عنا أن السودان قطر أصيل في العروبة ، وأن أهله من النماذج الجميلة لأدب النفس وشرف الوجدان ، ومَن كانوا كذلك فهم جديرون بعناية الباحثين والمفكرين من كتاب وشعراء !

الفطرة السليمة لا تزال من حظ أهل السودان . ولو أن معالي الدكتور هيكل باشا كان أقام بينهم مدة أطول من المدة التي أغرت كتابه الطريف « عشرة أيام في السودان » لظفر بمحصول نفيس في تقييد الأوابد من مكارم الأخلاق

أقول هذا صادقاً ، فما أذكر أبداً أنني رأيت ما أكره فيمن عرفت من السودانيين ، فالسوداني مفطور على طيبة القلب ، وهو يرى نكران الجميل من أفظع العيوب ، وله بوارق من الذكاء تؤهله لاحتلال الصف الأول بين رجال الفكر إذا ظفر بالتوجيه الرشيد .

فمتى نعرف واجبنا نحو أدباء مصر الجنوبية ؟

ومتى نفهم أن الأخوة لها حقوق ؟

أما بعد ، فأنا أتأهب لكتابة سلسلة من المقالات عن الأدب الحديث في السودان ، ولكن المصادر بعيدة مني ، إلا شذرات قليلة قدمها إليّ أحد أعضاء النادي السوداني بالقاهرة ، وهي شذرات لا تحقق ما أريد ، فماذا أصنع ؟

كنت أتمنى أن تتاح فرصة لزيارة السودان والوقوف على أخبار الحياة الأدبية هناك لأحدث قراء « الرسالة » في جميع الأقطار العربية عن إخوان مجهولين حفظوا عهد العروبة والإسلام في بلد جميل ، يغفل عن جماله أكثر العرب والمسلمين

كنت أتمنى أن أرى السودان ، ولو في وقدة الصيف ، لأقول لإخواني هناك : إن مصر لا تنساكم ، ولن تنساكم ، ولو ضُرب بينها وبينكم ألف حجاب

« أما من تمسك بحقه من هذا السبي منكم فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه . فردُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم »

ذلكم مثل من أمثال تُبين عن خلق رسول الله ، وهو الخلق العظيم الذي أوحاه إليه القرآن ، وإنما تتجلى عظمة العظيم بالعفو حين القدرة ، والترفع عن الاقتصاص بالذنوب

وذلكم تأديب القرآن أمةَ القرآن ، وتعليم رسول الله عباد الله . وإنما يريد القرآن أن يكون المسلمون أكبر من أن يُذلوا إذا غُلبوا ، وأعظم من أن ينتقموا إذا قدروا .

عبد الوهاب عزام

فتى أرى السودان ؟ متى ؟ متى ؟

سأسارع فأراه فى وجوه شعرائه وكتابه وخطبائه فى حدود ما أصل إليه من آثارهم الأدبية ، إلى أن يمنّ الله بزيارة أشرب فيها ماء النيل ممزوجاً بالطين ، كما شربت ماء الفرات ممزوجاً بالطين ، لأقول : إنى ذقت رحيق النيل كما ذقت رحيق الفرات .

متى أشرب أول كوب من النيل وأنا بنادى المعلمين فى الخرطوم ، كما شربت أول كوب من دجلة وأنا بنادى المعلمين فى بغداد ؟

لن أنسى أبداً كيف ذقت ماء دجلة أول مرة ، ولن أنسى أبداً كيف رحلت إلى « الفلوجة » لأذوق ماء الفرات فى طعمه الأصيل قبل أن ترفع عنه الأقذاء

اللقاء قريب ، يا إخوانى فى السودان ، فسأتحدث عن أدبكم بعد أسابيع ، على شرط أن تذكروا أن الخطأ يغلب فى الحكم على المجهول ، وقد قضت الأقدار بأن تكون أحكامى على أدبكم منقولة عن السماع ، وهو يخطىء أكثر مما يصيب

أما وفاؤكم لمصر ، فلن يجزيكم عنه قلبى ، وإنما يجزيكم عنه من شاءت إرادته العالية أن تكونوا مضرب الأمثال فى الصدق والمروءة والإخلاص

العقاد الحقود

فى صبيحة اليوم الذى ظهر فيه مقالى عن نقد كتاب « المطالعات فى الأدب والحياة » ، طلبنى الأستاذ عباس العقاد بالتليفون وأنبأنى أن صدره انشرح لذلك المقال ، وأنه موافق على ما ورد فيه من الملاحظات ، إلا عبارة واحدة آذته أشد الإيذاء وهى العبارة التى تسجل أنه رجل « حقود » ؛ فأجبته بأنى نظرت إلى الحقد من بعض جوانبه الأخلاقية ؛ ثم وجهته توجيهاً يرتضيه رجال الأخلاق ، وأضفت نفسى إلى جملة الحاقدين لنكون سواء فى التخلق بهذا الخلق الجميل ! مع الاعتذار لحضرة الأستاذ نجيب هاشم الذى ساءه أن يكون لى بين أهل الحقد مكان

وهل ينكر العقاد أنه رجل حقود ؟

إليكم القصة الآتية :

فى مصر شاعر « مشهور » هو الدكتور أحمد عارف الودينى المقيم بشارع العَجم فى مصر الجديدة (1) ، وهو شاعر قَصَر شعره على الإخوانيات ، فلا يقرض الشعر إلا فى تحية صديق ، أو تهنئة زميل ، وقد تسمو به همته إلى مجاملة الأمراء والملوك فى المواسم والأعياد

لقيته مرة فى « المترو » بصحبة الأستاذ العقاد ، فسألنى عن الرأى فى شعره ، فقلت : أنت يا دكتور ودينى أشعر رجل فى مصر بعد الأستاذ الجارم ! فظهرت عليه أمارات الاكتئاب ، ولكن الأستاذ العقاد تلطف فصرح بأنه أشعر من الجارم فى بعض الفنون !

ومضى الدكتور الودينى إلى الجارم يك لحدثه بما قلت وبما قال العقاد ؛ فأعلن الجارم أن الرأى ما رأى العقاد ! ثم لقينى الدكتور الودينى بعد أشهر وهو يقول :

— هل تعرف كيف ناقضك العقاد ؟

— وكيف ناقضنى العقاد ؟

— العقاد يرى أننى شاعر العرب

— أنت شاعر العرب ؟ أنت ؟

— وبشهادة العقاد !

— وكيف والعقاد يرى نفسه أمير الشعراء ؟

— هو أمير الشعراء ، وأنا إمام الشعراء ، والأمير يأتمّ بالإمام ، كما قال الجارم الصنّاج

— هذا جائز ، ولكن ما الدليل على أن العقاد يعدُّك شاعر العرب ؟

— كتب إلىّ خطاباً يقول فيه :

« إلى المفرد العَلَم ، صاحب الإنبيق والقلم ، شاعر العرب فى شارع العجم ؛ عزيزى ونور عينى ، الدكتور عارف الودينى »

— وهل ترى أن العقاد مدحك بهذا القول ؟

— تلك غاية المدح !

— وهل ترى أن العقاد صنع معك أجل مما صنعتُ ؟

— بالتأكيد !

— إسمع ، يا دكتور ، أنا جملتك أشعر الناس فى مصر بعد الجارم ، والعقاد جملك شاعر العرب فى شارع العجم

— وما العيب فى ذلك ؟

(1) سنعرف قيمة النص على اسم الشارع بعد لحظات

— العيبُ أنه جعلك أشهر من الأستاذ أمين الخولى ولم يزد ، والخولى جارك !

وعندئذ تربّد وجه الدكتور الودينى وقال : يظهر أن العقاد رجلٌ حقود !

والحق أن العقاد حقودٌ حقود ، وإلا فكيف جاز أن يجعل الدكتور الودينى شاعر العرب فى شارع العجم ، فقط ، مع أنه شاعر العرب بعد الجارم !

والحق أيضاً أن الخطأ لم يقع إلا منى ، فالدكتور الودينى كان استراح إلى ذلك اللقب الطريف وعدّه تلطفاً من الأستاذ العقاد ، والعقاد يلاطف أصدقاءه فى أكثر الأحايين ، ولكنه فى هذه المرة يسىء مع سبق الإصرار ؛ فقد غاظه أن تتسع آفاق الشاعرية « الودينية » بحيث يكون صاحبها أشهر الناس بعد الجارم ، والشعراء يحقد بعضهم على بعض !

وعزاء للودينى ، فلن يكون إلا شاعر العرب فى شارع العجم ، بفضل ما فى هذه العبارة الطريفة من عذوبة الطِّباق والجِناس .

أين متحف وزارة المعارف ؟

عرف قراء الرسالة خبر الخطاب الذى تلقيته وأنا فى باريس من الدكتور طه حسين ، الخطاب الذى قال فيه « أحمد الله إليك » وهى العبارة التى عدّها من المخترعات ، وصار يبدئ ويعيد بأنى تعودت الافتراء عليه ؛ ثم ظهر أن الخطاب صحيح بشهادة كاتبه الأمين « توفيق » ، وقد رجوت الدكتور طه أن يشترى منى ذلك الخطاب قبل أن أبيعه لمتحف وزارة المعارف ، ولكنه لاذ بالصمت البليغ

أتركُ الدكتور طه لشأنه ، فقلبى يحدثنى بأنه رجلٌ لا يحفظ العهد ، وأنتقل إلى الأستاذ مصطفى أمين المفتش المساعد لكبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف

عندى ذخيرة للبيع ، ذخيرة أدبية ولكن أين المشترى؟ وأين من يعرف حاجتى إلى المال وقد شاع وذاع أنى من الأغنياء ؟

عندى كتاب لا يصلُح للاقتناء من حيث هو كتاب ، ففى مكتبتى منه نسختان ، وإنما يصلح للاقتناء حين يتبرأ منه من أُهدِىَ إليه ، وهو صديق « أمين » !

هذا الكتاب هو « تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى » للمرحوم الشيخ أحمد الاسكندرى وعليه إهداء بإمضاء المؤلف « إلى حضرة صديقه الفضال مصطفى أمين » وبتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩١٣

فأى أثر أعظم وأشرف من كتاب يهديه الشيخ أحمد الأسكندرى إلى صديقه الأستاذ مصطفى أمين فى مثل ذلك العهد البعيد ، يوم كان الناس يعرفون قيمة الوداد ؟ !

أين نحن من سنة ١٩١٣ ؟

وهل هان كتاب الشيخ الأسكندرى وكان من المراجع التى اعتمد عليها مؤلف « ذكرى أبى العلاء » ؟

هو كتابٌ وجدته عند أحد البقالين بمصر الجديدة وقد اشتريته بنصف درهم ، فأين من يشترى منى هدية أحمد الأسكندرى إلى مصطفى أمين ؟

وأين متحف وزارة المعارف لأقدم إليه تلك التحفة السنية ؟

أين لا أين ؟ !

جريمة الكتمان فى نظر الجنية الحسناء

لم يكن الكتمان جريمة قبل أن أُسرف على نفسى بالكلمة التى نشرتها فى « الرسالة » عن الجرائم الأدبية ، وكنت نسيت تلك الكلمة ، فلم يذكرنى بها غير الملام الذى عانيته من الجنية التى كانت ترى أن أعلم الغيب فأعرف لأى سبب قضت أيام الصيف فى الصعيد ، الجنية الرخيمة الصوت التى تُزلزل وجودى حين تباغتنى الحديث من وراء حجاب ، الجنية التى تقرأ الأشعار والمقالات والأقاصيص وتزعم أنى أسرق أفكارها المبتكرة فى كل ما أحدث به قرائى من ألوان الجد والفتون ، والتى تهدد برفع أمرى إلى القضاء إن عدت إلى انتهاب ما تُسِرُّ إلى أذنى أو عينى من معانى وآراء(1)

من الذى يهدِّد ، يا شقية ، أنا أم أنتِ ؟

ومن السارق والناهب ؟ أنا أم أنتِ ؟

أتحداك فى السر والعلانية أن تمضى خطوة واحدة فى تنفيذ ذلك التهديد ، فإن فعلتِ فسوف ترين كيف أقتلع جميع الأشجار

(1) لا أرى إعلال كلمة « معانى » فى حال الخفض ، لأنها تجر بالفتحة والفتحة لخفتها بقيت فى حال النصب فلا موجب لحذفها فى حال الخفض

والأزهار من الجيزة الفيحاء ، وكيف أسيّرها أقفر من الفؤاد الذي جازه غيث الحب فأمسى وهو يَباب

ومن أنتِ حتى أسرق منكِ ؟ هل كنتِ إلا طيفاً شفافاً يحاور روحي وهو معتصم بأجواز السماء ؟ هل كنتِ إلا روحاً يتمثل في صوت رنان حنان نُقِل من وادي الخلود إلى وادي الفناء ، إن جاز القول بأنك من أهل دنيانا الفانية ؟

من أنتِ حتى أسرقُ منكِ ، ومن دمِي المسفوح على سنان القلم خُلِق روحك الظَّلوم ؟ أنا أسرق منكِ وما كان ذكاؤك الوهّاج إلا شرارة طارت عن فؤادي ؟ ويطيب لك أن تحتجبي عني لتصح دعواك في التأبي والتمنع . فهلا نطقت بقولة الحق فاعترفت بالخوف من المصير المحتوم لمن يواجه الحب العاصف ؟

حماكِ الله من روحي ، يا شقية ، وكتب لك السلامة من غزوات قلمي !

ثم تعالَيْ إلى كلمة سواء :

لقد هددتِ بالقطيعة الباغية إن لم أكتب « الصفحتين المزقتين من جديد » الصفحتين الظلومتين بسبب التخوف من الأكاذيب والأراجيف

فمن يردّ عني عدوان أبناء الزمان ، إذا خرجت على شريعة الكتمان ؟

أنت يا طفلتي جاهلة جهلاء ، ولو كنت تعرفين من خلائق أهل العصر بعض ما أعرف لعز عليك أن تعدى الكتمان من الذنوب

أهل العصر ، يا طفلتي الغالية ، لا يسرهم أن ينبُغَ فيهم كاتب بليغ إلا أن يكون بوقة ضجّاجة تهتف بما يرتاحون إليه من الإفك والرياء

الكاتب ، يا طفلتي الغالية ، قد يستبيح ما لا يباح من النقد الجريء ، وبعض أهل العصر يفهمون جيداً أن منازلهم الأدبية لم تكن إلا ضرباً من المتاع المسروق ، فهم يتصورون الناقد في شبح رجل يقدم عنهم بلاغاً للنيابة العمومية !

ومن أجل هذا يحرص قوم على إفهام الجمهور أن الرجل لا تكون له إلا شخصية واحدة ، فهو موظف فقط ، أو كاتب فقط ، وليس من حقه أن يكون موظفاً بالنهار وكاتباً بالليل ، وكيف يحق له ذلك وهو بَشرٌ مثلهم خُلقَ للوظيفة بالنهار ، ولمنادمة السخفاء بالليل ؟ !

الكاتب ، يا طفلتي ، رجل مهدد في كل وقت ، لأنه من عنصر غريب لا يرتاح إليه المجتمع ، إلا أن يكون من أهل البراعة في ختل المجتمع ؟ وذلك خلق لم أفكر فيه ، ولا يسرني أن أصير إليه ، لأني أمقت الفناء في أقوام كل محصولهم من الشرف أن يقال إنهم يبغضون الاستعباد ، وكنت أرجو أن يكون قرائي ملوكا يسيطرون على جميع الممالك والشعوب ، فعزة الكاتب من عزة القارئ ، ولا يستريح إلى السامع الذليل إلا المحدث الذليل

وقد أنفقت من شباب القلم ما أنفقت في خلق جيل يفهم عني ما أريد ، ثم كانت فجيعتي فيك يا شقية ، فأنت تريدين أن أخضع للجهال ، وأنا لا أعرف إلا خيلاء السيطرة على الجهال ، والرجال قوامون على النساء ، ولو كره المتظرفون من أبناء الجيل الجديد !

وأنا مع هذا شديد الرغبة في الخضوع لإرادتك السامية ، كما يتطامن الصائد في أصول الأدغال ، فماذا تريدين أن أقول ؟

هل تريدين أن أكتب الصفحتين المزقتين من جديد ؟

أنا عند ما تريدين لتكوني بإذن الهوى عند ما أريد ...

وإلى قلبك البكر أسوق الحديث في غير هذا الحديث

زكي مبارك

الرسالة في سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا جددوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك .

فرق لمكافحة الغناء المريض

للأستاذ سيد قطب

إذا صح ذلك الصدى الذى استرجعته لكلمتى فى العدد الأسبق من « الرسالة » عن « الذوق الفنى ونهر الجنون » من إخوان لى فى الفكرة لم أعرفهم من قبل ، كان عدد الذين « لم يشربوا من النهر » أكثر كثيراً مما قدرت ، وكان عجيباً أن يضيعوا هكذا فى غمار الشاربين المخمورين !

وأنهم ليفضون إلىّ بأسباب غريبة لصمتهم عن الجهر بآرائهم ، أسباب لم تصادفنى مرة واحدة ، ولو صادفتنى لعرفت كيف أثور عليها وكيف أحطم شباكها ، ولكان مجرد اصطدامى بها حافزاً للثورة المحطمة لا للسكون الكظيم

أنهم يشكون نفوذ بعض المشتغلين والمشتغلات بالغناء المريض فى مصر ، هذا النفوذ الذى يعوّق المقالات فى إدارات الصحف فلا تنشر إذا كان فيها تصحيح لطريقتهم فى الموسيقى والغناء ، ويحبس الأغانى والألحان فى محطة الإذاعة فلا تذاع ، إذا كان فيها كشف للضعف وتأثير فى الشهرة ، وفرصة للموازنة بين المشهورين وغير المشهورين ... هذا النفوذ الذى يشتريه بعض المشهورين والمشهورات بالمال والشفاعات تارة ، وبجاه المعجبين بهم الشاربين من النهر معهم من أصحاب السلطان والمرشحين للسلطان تارة !

ولست أدرى مدى هذه الشكايات من الصحة ، ولكن تواترها على ألسنة لا مصلحة لها فى الادعاء ، وبسط حوادث معينة فى صحف « محترمة ! » معينة . كل هذا جعلنى أوجس شراً ، خشية أن تقبر هذه الكلمة التى يخطها قلمى فلا تبصر النور ، وأن تصدها الشفاعات والدسائس عن الظهور !

وعلى الرغم من ثقتى بالرسالة التى أوسعت صدرها غير مرة لنقد عظماء الفكر فى الشرق والغرب ، فأنا أرجو أن تعذرنى فى هذا التوجس ، فإن الحوادث التى سمعت عنها تشير إلى خطة منظمة يتوسل إليها بعض المشهورين والمشهورات بكل وسيلة مهما كلفتهم من جهد وتضحية ، لكتم النقد وإذاعة الثناء ، وقبر كل نبوغ يبزغ ، ويهدد شهرتهم بين الغوغاء

وحين يصح هذا يكون جناية على الفن والذوق والخلق ، وعلى كل إحساس رفيع فى الأمة وكل شعور كريم ، جناية تجب مكافحتها ، وأننى لأهب هذا القلم لهذا الكفاح وأعلم أن الحواجز والسدود التى يشكو منها الشاكون لن تحول دون هذا القلم حين يريد

إننا لن نشتم هؤلاء الناس الذين يسحقون روح الشعب فى كل أغنية ، ويهدون عزيمته فى كل لحن ؛ ولن نوجه إليهم فاحش اللفظ ولا هجر القول ، ولا شأن لنا بأشخاصهم ، ولكننا ننتقد طريقتهم ، ونندد بآثارها المقيتة فى النفوس . وما دام الأمر كذلك فسنجد لهذا القلم مجالاً غير محدود ، على الرغم من كل الحواجز والسدود ، ولن يكون هؤلاء المشتغلون والمشتغلات بالغناء الزائف المريض بأعز من عظماء الفكر الذين تناولهم النقد فى أبعد الحدود

والأمم تنشئ الفرق لمكافحة المرض حين ينتشر الوباء ، ولمكافحة اللهب حتى يصب الحمم على الأبرياء ، ولمكافحة المخدرات حين تهدد سلامة البلاد ... فمن واجب مصر أن تنشئ الفرق لمكافحة الغناء المريض الذى يسحق كبرياءها ، ويحطم رجولتها وأنوثتها ، ويثير أحط غرائزها ، ويخدر أعصابها كالمخدرات

وما أمزح أو أتهكم ! فأنا أقترح جاداً إنشاء هذه الفرق ، من كل ساخط على هذا الترنيم الوجيع ، مشمئز من هذا التكسر الخليع . وهذه الفرق تستطيع الشيء الكثير : تستطيع بث الدعوة ، وضرب المثل ، ومقاومة كل نفوذ تجارى يبذل فى إدارات الصحف ومحطة الإذاعة ... وتستطيع تتبع هذه الأنغام بالتجريح والتهجين فى كل مجتمع وناد ، مع تصحيح الأفهام وتقويم الإحساس

ولست أبالغ حين أنهى إلى وزارة الشئون الاجتماعية وإلى وزارة الدفاع أن هذه الأغانى تعوق جهودهما فى انتشال المجتمع المصرى وتقويمه ، وفى بث روح الحماسة وتقويتها ، فشبان البلد وشوابها مشغولون ومشغولات بالمأتم الدائم فى كل مذياع ، الحافل بالنائحين والنائحات ، وبالدموع الرخيصة

المتصنعة ، وبالدغدغات الخليعة المتكسرة في الألحان والأغنيات

وحين نكافح « الطابور الخامس » يجب أن نحسب حساب « الغناء المريض » ويجب أن نسكت هذه الدغدغة وهذا التميع وتلك المخدرات المتسربة إلى الضمائر الهامسة في الأخلاد

وما كان لأي « طابور خامس » أن يؤثر ما تؤثر هذه الأغاني — حتى الأناشيد الوطنية والحماسية التي خرجت أشبه بالمناحة مرة ، وبالنشيج المترنح مرة — إذا استثنينا « نشيد الجامعة » لأم كلثوم

لم تبق عاطفة إنسانية نبيلة لم يشوهها هذا الغناء ، ولم يبق شعور وجداني كريم لم يفسد طبيعته

فالحب مثار الحيوية في النفوس ، ومبعث القوة في الوجود . هذا الحب الذي تدخره الحياة لأبنائها ، لتبيحه لهم في أفضل ساعاتهم وأملئها بالفيض الروحاني ، والتفتح العقلي ، والنضوج الجسمي ، وتعبر به عن أقصى غبطتها بهم ورضاها عنهم ، وتدل به على صلاحيتهم لها وأدائهم لحقوقها . هذا الحب الذي هو « جواز المرور » من حمله من الأحياء أباحت له الحياة خدرها وأثمن مكنوناتها (كما يقول العقاد) . هذا الحب الذي يفجر في الإنسان كل منابع السمو والعطف والمرح والاستعلاء كما يفجر في الحيوان — في صورة الغريزة — كل منابع النضج والقوة والازدهار

هذا الحب كله عاد في ذلك الغناء رجع الصدى الهزيل للغريزة المضعوفة ، وصوت الأسى الذليل للحيوانية المريضة ، ودمعة الضعف الكسير للرغبة العاجزة

والألم أنفس الأحاسيس الإنسانية . الألم الطهور الكريم صقيل الطبيعة البشرية ، ومنضج المشاعر الفجة ؛ وبوتقة الشهوات الخبيثة . . .

هذا الألم عاد في ذلك الغناء تصنعاً زرياً ، وتكسراً شائهاً ، وتميعاً « مقرفاً » ونعومة خبيثة

والفنون على الإجمال ، هي رمز الأمل الطليق من قيود الواقع المحدود ، المتعالي على مطالب الضرورة القاصرة ، وهي مهرب النفس الإنسانية الطموح حين يعجز الواقع عن تلبيتها فتجد في الفنون دنيا من المستقبل ، وعالماً من الملأ الأعلى ، وفسحة من الكمال الموموق

ولن تكون الفنون تعبيراً عن جوعات الأجسام ، ولاشهوات اللحم والدم إلا في أحط صورها وأولى درجاتها ، ولكن ألواناً من القوة الحيوانية العارمة ، والنشاط الغريزي الفاره ، والجوع البهيمي المتنزي قد يعجب النفس لما فيه من معنى الحيوية المتوثبة والقوى المتحفزة

فموسيقى الجاز بند تعبير عن الحيوانية الهائجة ولكنها قد تجد لها شفيعاً في الدنو من دائرة الفنون بما فيها من قوة الهياج ، وضجة الزياط ، وثورة الدم في العروق

ولكن أي شفيع للحن أو أغنية هي تعبير عن الحيوان المضعوف السقيم ، يتميع بالغريزة العاجزة الكليلة ، ويتخلع بالرغبة العجفاء الهزيلة ، ويدغدغ غرائز السامعين المخدرين ؟

ما سمعت أغنية واحدة أو لحناً واحداً ، ولا سيما الأغنيات الأخيرة إلا أحسست بالتقزز للرجل المتراخي النائم على نفسه ، المتخاذل في حركاته ، المهوم للنعاس في نغماته ، والمرأة المتخامة في نبراتها ، المدغدغة في تأوهاتها ، ولشواب البلد وشبانها يتهالكون من الرخاوة ، ويتحاملون من الهزال ، ويرفعون عقيرتهم بالنواح : « ياوعتي ياشقايا ياضنى حالي — طول عمري عايش لوحدي — مايهونشي »

وكل هـذا هين لولا فجيعتي في شاعر أعزه وتربطني به روابط ودية وثيقة ، وصلات أدبية طيبة . وقف مرة أمام المذياع يقدم قطعة من تأليفه لحنت هذا التلحين ، وأديت هذا الأداء ؛ فقال : إنها في صورتها هذه الممسوخة تعبر عما أحس به وهو ينظم مقطوعته ، وأنه يعتز بهذا التعبير كل الاعتزاز

شعرت بالفجيعة مع ثقتي بأن عوامل غير عامل الإعجاب الفني بكل تأكيد هي التي أوحت إليه بما يقول . شعرت بالفجيعة لأنه شاعر وصاحب قلم ، وكل ذوي الأقلام يتعين أن يكون مكانهم في صفوف المكافحين عن ذوق الأمة الفني وعن سلامة فطرتها التي تنهكها هذه الألحان

ولقـد انتهيت إلى مقاييس لا تخطئ في تقدير صحة الفطرة الفنية وسلامة الشعور الإنساني ، وهي في يدي كقياس الحرارة في يد الطبيب . فأيما إنسان دل مقياس الحرارة في فمه على رقم غير الرقم الصحي ، فهـو مريض مهما نطقت ملامحه بالصحة

وجوارحه بالعافية ؛ وأيما إنسان أحس فى ضميره اختلاجة للحن من تلك الألحان المريضة ، فهو مشوه الفطرة سقيم الطبع ، شارب من النهر مخمور

وللصحافة رسالة يجب ألا تنكل عنها ، وواجب يجب أن تؤديه ؛ وقد تماونى الرجاء واليأس فى إصلاح هذه الحال ، ولكن يجب أن تكون فداحة العبء مثيراً لمظائم الجهد ، ومن يدرى ، فقد نعثر على كنز مخبوء فى طبيعة هذه الأمة ، أو منبع مطمور من منابع الفطرة ، تزيل عنه الركام ، فإذا تفجرا كنسح هذه الرواكد وتلك المخلفات

« حلوان » سيد قطب

دير مديان (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

قال الشابشتي : « وهذا الدير على نهر « كرخايا » ببغداد ؛ وكرخايا نهر ينبثق(١) من المحوّل الكبير ويمر على العباسية(٢) ويشق الكرخ ويصبُّ فى دجلة ، وكان قديماً عامراً والماء فيه جارياً ، ثم انطم(٣) وانقطعت جريته بالبثوق(٤) التى انفتحت فى الفرات

وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة ؛ ويُقصد للتنزه والشرب . ولا يخلو(٥) من قاصد وطارق . وهو من البقاع الحسنة النزهة . وللحسين بن الضحاك فيه :

حث المدام فإن الكأس مترعة
مما يهيج دواعى الشوق(١) أحيانا
إنى طربت لرهبان مجاوبة
بالقدس بعد هدوّ الليل رهبانا
فاستنفرت شجناً منى ذكرتُ به
كرخ العراق وأحزاناً وأشجانا
فقلتُ والدمعُ فى عينيَّ مطّرد(٢)
والشوق يقدح فى الأحشاء نيرانا
يا دير مِدْيان لا عُرِّيت من سكن
ما هِجْتَ من سقمٍ يا دير مِدْيانا
هل عند قَسِّك من علم فيخبرنى
أن كيف يسعد وجه الصبر من بانا(٣)
سَقياً ورعياً لكرخايا وساكنه
بين الجنينة والروحاء من كانا(٤)

قال : وكان أبو على بن الرشيد يلازم هذا الدير ويشرب فيه . وكان له قيان يحملهم(٥) إليه ويقيم به الأيام لا يفتر(٦) عزفاً وقصفاً . وكان شديد التهتك ، وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقون منه . فانتهى الخبر إلى إسحق بن إبراهيم الطاهرى وهو خليفة السلطان ببغداد ؛ فوجّه إليه يقبّح له فعله وينهاه عن المعاودة لمثله . فقال : « وأيّ يد لإسحق عليّ وأيّ أمر له فيّ ؟ . . . أتراه يمنعنى من سماع جوارىّ والشرب بحيث أشتهى . . . ؟ » فلما أتاه هذا القول منه أحفظه ، وأمهل حتى إذا كان الليل ركب إلى الموضع وأحاط به من جميع جهاته . وأمر أن يُفتح باب الدير ويُنزلَ به على الحال التى هو عليها . فأنزل به وهو سكران فى ثياب مصبّغة ، وقد تضمخ بالخلوق(٧) فقال :

(*) راجع أخبار هذا الدير فى ياقوت (ج ٢ س : ٦٩٥) طبعة أوروبا — وفى مسالك الأبصار س ٢٧٧

(١) فى الأصل « يشق » ولا معنى لها ، وقد أوردها كذا ياقوت فى معجمه والعمرى فى مسالكه . ولعل الصواب كما أثبتنا .

(٢) محلة كانت ببغداد . قال ياقوت ج ٣ س ٦٠٠ : « وأظنها قد خربت الآن ، وكانت بين يدي قصر المنصور قرب باب البصرة . وهى منسوبة إلى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس »

(٣) من العامى الفصيح .

(٤) فى الأصل « بالسوق » على أن ياقوتا أثبتها « البثوق » . جمع بثق . جاء فى الأساس « انبثق عليهم الماء إذا خرق الشط أو كسر السكر فجرى من غير نجر . والبثق المكان المكسور » فعل بمعنى مفعول . »

(٥) فى الأصل « يخلوا »

(١) فى الأصل إلى جانب الشوق « الحزن »

(٢) فى معجم البلدان « فى عينى منحدر ... »

(٣) فى مسالك الأبصار س ٢٧٧ : « . . . وجه الصبر من خانا » ورواية الشابشتى أحسن .

(٤) فى مسالك الأبصار س ٢٧٧ : « ... لكرخايا وساكنها »

(٥) كذا فى الأصل ، والضمير يعود إلى القيان ج قين وهو العبد (القاموس)

(٦) فى الأصل « لا تفتر » وهو تحريف

(٧) الخلوق نوع من الطيب

سوءة لك ! رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال ؟ » ثم أمر ففُرش بساط على باب الدير وُبطح عليه وضربه عشرين درّة ، وقال : إن أمير المؤمنين لم يولني خلافته حتى أضيّع في الأمور وأهملها ، ولا حتى أدعك وغيرك من أهله تمرونه[1] وتفضحونه وتخرجون إلى ما خرجت إليه من التبذل والشهرة وهتك الحرمة[2] إلى الديارات والحانات ، وفي تأديبك صيانة للخلافة وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة . ثم أمر بعماريات[3] كانت معه فأركب فيها مع حُرمه وردّه إلى داره . فبلغ ذلك المعتصم فكتب إليه يصوب رأيه وفعله ويأمره ألا يرخص لأحد من أهل بيته في مثله

وأم أبي على هـذا تعرف « بشَكل » . وكان الرشيد قد اشتراها وصاحبة لها تعرف « بشذر » في يوم واحد . فحملت شذر وولدت « أم ابنها »[4] ؛ فحسدتها « شكل » وبلغ بهما الحسد إلى أمر عظيم من العداوة حتى اشتهر ذلك . وحملت « شكل » وولدت أبا علي . وماتت أماها ؛ وبقيت العداوة بين أبي علي وأم ابنها ، حتى بلغ الأمر إلى أن تهاجيا بالأشعار ، وشاع أمرهما في جميع آل الرشيد . فلما قتل الأمين وورد المأمون إلى بغداد جلس يوماً وعمه إبراهيم بن المهدي وأبو إسحاق[5] أخوه والعباس ابنه ، وتذاكروا العداوة التي بين هذين ، فقال : لقد سمعت بخبر عداوتهما بخراسان ولقـد هممت أن أصلح بينهما . ووجّه فأحضر أم ابنها وأقبل يعاتبها وهي مطرقة لا تردّ جواباً . ثم أمر بإحضار أبي علي ، فلما رأته أم ابنها تنقّبتْ وسترتْ وجهها . فقال المأمون : كنت مُسفرة فلما حضر أخوك تنقبت ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين لسفوري بين يدى عبد الله بن طاهر وعلى بن هشام ، أوجب من سفوري لأبي على ، فوالله ما هو لي بأخ ولا للرشيد بابن ، وقد قال الله عز وجل : « الذين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . قال ابن عباس : « آمنهم من البرص والجـذام » ... وهو والله أبرص ، ما هو إلا ابن فلان الفراش ... ! فأمر المأمون أخاه أبا إسحاق بجلدها حداً . فقالت : « سوءة يا أمير المؤمنين أن تحد أختك لابن الفراش وسننت على بنات الخلفاء الحد ، فوالله لقد ظننت أن أمره يستتر : فأما الآن فوالله لتتناقلنه الرواة وليتحدثن به إلى أن تقوم الساعة . ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ... فلو كانت رجلاً لـكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء ... وقلد أبا على الصلاة على جنـائز أولاد الخلفاء ليدرأ عنه العيب[1] (لهذا الفصل بقايا)

(دمشق) صبحي الدين المنجد

(١) مر فلان إذا لقب بلقب يمره أي يشينه (اللسان ٦ : ٢٣٤)

(٢) في الأصل كلمة طمست وغابت

(٣) العماريات ضرب من الهوادج يجلس فيه (معجم دوزى ج٢ : ١٧٢)

(٤) في الأصل : أم أبيها ، وهو تحريف

(٥) كذا في الأصل ، والأولى أن تكون أبا إسحاق بالعطف على المفعول منه

(١) في هامش الـكتاب عند هذه السطور ما يلي : « ألا رحم الله لي أمير المؤمنين المأمون ما كان أوسع علمه وأغزر عقله في أمره وتقليده لأبي على في الصلاة على الجنائز من أولاد الخلفاء ... ... » بخط رديء غير خط الناسخ

عرابى الفـــلاح

حديث شيخ معمر من قرية عرابى باشا

للأستاذ محمود الشرقاوى

سيظل اسم عرابى باقياً مذكوراً فى التاريخ المصرى الحديث ما بقى فى مصر شعور بالقومية المصرية . وستظل الحركة العرابية أو « هوجة عرابى » باقية مذكورة فى ضمير الشعب المصرى حية على لسان أفراده وفى قلوبهم حتى تتمكن لمصر الحياة الحرة وحتى تتمكن للشعب المصرى « الفلاح » السيادة التى جاهد عرابى لها ولقى فى سبيلها ما لقى وما يلقى المجاهدون الأحرار

ومهما تكن نتائج الثورة العرابية . ومهما يكتب المؤرخون عن أخطائها فستظل ويظل اسم عرابى معها مذكوراً فى ضمير الأمة المصرية كأول حركة قومية خالصة ، وأول « تنبّه » للشعور بالقومية المصرية فى العصر الحديث ، وأول هبة لتحقيق السيادة المصرية للدم المصرى

وقد عرف الكاتبون وكتب المؤرخون البحوث والتحقيقات عن عرابى البطل وعن ثورته . ولكنى عرفت بمصادفة موفقة حديثاً عن العظمة النفسية التى كان يتميز بها عرابى ؛ وعن الشعور الراسخ بالعزة الذاتية التى كان يحسها لمجرد أنه مصرى وفلاح

وقد بلغ شخص عرابى من الرفعة والمجد ما بلغ ، وارتفع اسمه وعلا إلى حيث ارتفع ، ولكن هذا كله لا يغير من نفسه ولا من شعوره بالفخار أنه مصرى وفلاح ، وبيننا إلى اليوم من لم يبلغ شيئاً ولا ارتفع اسمه شيئاً ولكنه يعلو بنفسه أن يكون فلاحاً وهو من طينه ومن ترابه

بل لقد جعل عرابى نسب فخره أنه فلاح تحدر من أصلاب فلاح ونشأ مثلهم ومعهم بين الماء والطين

وحديث هذه الواقعة هو ما سأكتبه لقراء « الرسالة » كما سمعته

* * *

منذ أيام عشرة قبض الله إليه شيخاً معمراً فى قرية « هرية رزنة » قرية عرابى باشا فى جوار الزقازيق وقد جاوز المائة

وهذا المعمر هو الشيخ على نجم معلم القرية ، وكان فيها صاحب « كتّاب » تعلم فيه وحفظ القرآن أبناء هذه القرية وما جاورها جيلاً بعد جيل ، وكان أبوه من قبله معلماً صاحب « كتّاب »

وقد قدر لى أن أجلس إلى هذا الشيخ المعمّر قبل أن يقبضه الله إليه ، وأن يحدثنى عن نبْت قريتهم عرابى وأنه كان يتعلم القراءة ويحفظ القرآن فى كتاب أبيه ، وكان « عرابى » يصغره سناً وإدراكا ويتخلف عنه فى الحفظ . فكان الشيخ محدثى – رحمه الله – « عريفاً » عليه كما يقولون فى لغة كتاب القرية

وبقيت العلائق بين « العريف » المعلم الشيخ على نجم وبين أحمد عرابى حتى انتهى لما بلغ من مجد ومن مكان ، وكان من خاتمة الثورة العرابية ما عرفنا ونقل عرابى باشا إلى جزيرة سيلان ثم أعيد بعد عشرين سنة فيها

قال الشيخ المعمر رحمه الله :

وقصدت ومعى زميل من شيوخ القرية نهبط مصر لنرى عرابى باشا بعد رجوعه من المنفى ، وكان يوم جمعة وحلّ علينا وقت صلاتها قريباً من عابدين ، فدخلنا مسجداً نصلى فإذا بنا ونحن خروج ننتعل أحذيتنا على باب المسجد نرى عربة تقف أمامه وقد صعد إليها رجل كبير ضخم عرفته ، فقلت لصاحبى الشيخ : أليس هذا عرابى باشا ؟ لقد تغير كثيراً ، وكأنه لم يعد يُبصر . فقال صاحبى بعد صمت : ألا ترى من الخير لنا أن نعود وألا نذهب إلى بيت عرابى ، فإنى لا أستطيع أن أراه هكذا فى ختام أيامه كسيراً مخذولاً مهيضاً

وهل تظن أنه يعرفنا بعد كل هذه السنين وهذه الأحداث وهذه الغربة ؟ وإننا نخجل أنفسنا حين نعرض عليه أو يستأذن لنا منه فلا يذكر أشخاصنا بأسمائنا . فهلم بنا نعود . قال محدثى ولكنى عارضت صاحبى وشجعته وقلت له لقد جئنا إلى القاهرة لنزور عرابى ولا بد إن شاء الله أن نزوره . وقصدنا إلى بيته فى شارع خيرت بعد صلاة الجمعة بساعات

فلما قدمنا منزل عرابى باشا استقبلنا على بابه بعض الخدم والعبيد واستقبلنا واحد من أبنائه وهو لا يعرفنا . فلما عرفناه أنفسنا قال إن الباشا ليس فى البيت وترك لنا أن نجلس أمام البيت على « دكة » البواب حتى يعود فيستأذن لنا عليه الخدم ، فجلسنا وقد نظر إلىّ صاحبى كأنما يذكرنى ما قال ونحن نترك

اللورد روبرت بادن باول
الكشاف الأعظم العالمى
للأديب خميس زهران

(بقية ما نشر فى العــدد الماضى)

انطلق بادن باول ومعه زميله إدوارد سيسل لتنفيذ التدابير التى ارتأياها . فوضع كل المتدربين فى خط القتال وأخذ يجمع الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ ، ١٦ سنة وألف منهم فرقة ألبسها الزى العسكرى وعهد إليهم ببعض الأعمال مثل نقل البريد والمؤونة والأشارات وحراسة المخازن وغير ذلك من الأعمال التى تحتاج إلى نشاط أكثر من احتياجها إلى تمرين « لقد كانوا فتياناً لا يسددون الرماية ، ولـكنهم كانوا يركضون حولنا كالأرانب » . وشرع هو ورجاله فى حفر الخنادق حول المدينة لتكون بمأمن من الأعداء

« كان لـكل رجل قيمة وبما أن عددهم أخذ فى النقصان شيئاً فشيئاً بسبب سقوط القتلى والجرحى ، أصبحت واجبات القتال والمراقبة ليلاً أصعب على الباقين . ثم إن اللورد إدوارد سيسل رئيس أركان الحرب جمع الأولاد فى المكان وجعل منهم فرقة تلامذة حربيين وألبسهم وشرع فى تدريبهم وأصبحوا بعد حين جماعة لبقين منظمين ، وكنا حتى ذلك الحين نستعين بعدد وافر من الرجال لحمل الأوامر والرسائل والمراقبة وأمثال ذلك . فأضحت هذه الواجبات الآن على التلامذة الحربيين وذهب الرجال لتدعيم خط النار

ولقد أدى هؤلاء الأولاد تحت رئاسة « جوديير » أعظم خدمة واستحقوا الأوسمة التى نالوها عند نهاية الحرب . كان معظم هؤلاء يحسن ركوب الدراجة ، لذلك تمكنا من تأسيس بريد ، استطاع الناس بواسطته إرسال الخطابات إلى رفاقهم الموجودين فى مختلف القلاع أو حول المدينة دون أن يعرضوا أنفسهم لخط النار . وجعلنا لهذه الرسائل طوابع بريد رسم عليها صورة تلميذ حربى يركب دراجة

قلت لأحد الأولاد مرة عند ما جاء تحت وابل من النيران : ستصاب يوماً وأنت تركب على هذه الصورة والشرر يتطاير من كل صوب . فأجاب : سيدى إننى أنطلق سريعاً بالدراجة ولن يستطيعوا الوصول إلىّ » .

المسجد وقد رأينا عرابياً وهم بنا صاحبى أن نعود .

ونحن وقوف على هذه الحال إلى حائط البيت انتهت إلى الباب عربة عرابى ونزل منها أمامنا يتمهّـل ووقع بصره علينا ، وبعد دقيقة أو دقيقتين وقد هممت بالتقدم للسلام عليه نادانى : ألست أنت « عربى » الشيخ على نجم ؟

وسألنى وصاحبى فقصصت عليه كيف جئنا وما قال لنا خدمه وابنه ؛ وكنا دخلنا معه وقربنا إلى حيث يجلس يستقبل ؛ فلما سمع منا تغير لونه ووقف ووقفنا ؛ ثم رجع إلى أول الحديقة ونادى ابنه الذى استقبلنا وطلب معه من فى البيت من اخوته ثم وقف وهم جميعاً أمامه ، فحدثهم باللغة التركية حديثاً طويلاً كان فيه ظاهر الغضب . وقد وقفوا جميعاً أمامه صفاً واحداً رؤوسهم على صدورهم مشتبكة أيديهم كأنهم فى صـلاة ؛ ثم قال ختام كلامه باللغة العربية ، وقد فهمنا منه غضبته وما حدث أبناءه — وخدمه واقفون — باللغة التركية ؛ وكان ختام عرابى باشا حديث أبنائه كأنى أسمعه الآن يقول مشيراً إلىّ وإلى صاحبى :

هذا زميلى فى الـكتّـاب ، وهذا عربى جلست إليه يسمع منى القرآن فهو معلمى ؛ وأنا فلاح ابن فلاح تحدرت من أصلابهم وأنا بهم فخور ، فخور بأنى نشأت ولعبت فى الماء والطين معهم ؛ وأنا عرابى باشا ، ولـكنى فلاح ومن قرية « هرية » ، وهؤلاء الفلاحون هم أهلى وعشيرتى ومنهم دمى ، فمن جاء منهم إلى لا يجلس بالباب .

ثم أمر أولاده فانصرفوا وهم سكوت : ودخلنا فجلس معنا ساعات يحدثنا عن صبانا وأيام الطفولة ويسألنا عن رفقاء الكتاب . وأراد أن يستبقينا ليلتنا فشكرنا واعتذرنا . ولم يتركنا عرابى باشا حتى خرج معنا خطوات من حجرته واستحلفنا أن نعود إليه وأن نرانا

قال محدثى الشيخ المعمر : ولم يشأ الله أن نزوره ولا أن نراه . ولـكننا نحبه كما كان يحبنا

قلت يرحمك الله أيها الشيخ كما يرحم الله عرابياً البطل الفلاح

محمود الشرقاوى

يظهر أن هؤلاء الأولاد لم يفكروا في القذائف قط : كانوا دائماً على استعداد لتنفيذ الأوامر مع أن الخطر كان منهم على قاب قوسين أو أدنى . وهكذا صارت المدينة في حركة ونشاط متواصلين وقد سرت في نفوس الجميع روح الثقة والأمل

فإن نعجب فلنعجب لهذا الساحر كيف أوتي هذه الجاذبية المدهشة التي سرعان ما أحالت الحامية خلقاً جديداً وأشاعت في جنودها النشاط والرغبة في العمل

وحدث في تلك الأثناء حادث طريف يدل على ذكائه الفطري فقد نصب أعلاماً سوداء حول المراعي الخضراء موهماً العدو أنها ملأى بالمفرقعات والألغام لكي يتقي شر الإغارة عليها ولتبقى سليمة ترعى فيها إبله وماشيته وهما قوام حياة جيشه المحاصر . فلما رأى جنود العدو هذه الأعلام ساروا في طريقهم ولم يصوبوا أفواه بنادقهم ولا قذائفهم صوب هذه المراعي خشية انفجار المفرقعات المزعومة والتي ظنوها شراكا منصوبا لهم . ومما ساعد على نجاح خدعته هذه أن حدث أن الأعداء أطلقوا أعيرتهم النارية على إحدى عربات السكك الحديدية ظانين أن بها بعض رجال الحامية الإنجليزية ولم يكن بها إلا مفرقعات حقيقية فما لبثت أن تطايرت الشظايا والمفرقعات فأصابت الثلث منهم . وهكذا سنحت الفرصة لرجال الحامية الذين هجموا على الأعداء فأدخلوا الذعر في قلوبهم وجعلوهم يلوذون بالفرار

تلك واقعة واحدة سقناها للتدليل على شجاعة بادن باول في تلك الحرب التي استمر لظاها مدة ٢٨٠ يوماً وانتهت بأن طلب قائد الجيش البوري الصلح حقناً للدماء معترفاً بما أبدته تلك الحامية الضئيلة العدد من البسالة الفائقة والمقدرة النادرة

ولنترك الآن روبرت نفسه يصف الحالة أثناء الحصار بتلك الجمل التي خاطب بها رجال حاميته مفكنج بعد أن فك الحصار عنها ومودعاً لهم « لقد كان مثلنا إبان ذلك الحصار كمثل أسرة سعيدة واحدة ، والآن جاء وقت الفراق . إني أذكر أني قلت لكم يوم أن حوصرنا وتقطعت بنا الأسباب : اربضوا ربضة الأسود . صوبوا إلى المرمى بنادقكم . ولقد قمتم بذلك خير قيام فكانت النتيجة ما ترون . ولقد أثنوا على شخصي الضعيف ، ولهجت الألسن بذكرى والثناء عليّ الثناء كله وفاتهم أنه من السهل أن يكون المرء ربان سفينة ونسوا الحامية التي هي شراع السفينة مفكنج التي أخرجتها من العواصف القاصفة والزعازع المتلفة وأوصلتها إلى الميناء بسلام »

كل هذا حدث بفضل بادن باول الذي كان الناس يشكون في نجاحه في هذا الحصار ولكنه بجده ونشاطه ومثابرته على العمل وإيمانه بقدرته على النصر تمكن من التغلب على الصعاب التي اعترضته وفاز بنصر مبين رفعه إلى أوج المجد والشهرة

حياة بادن باول الملأى بالمجازفات والأخطار وما شاهده من بطولة الصغار في ظروف عدة وما لديهم من قوى كامنة تدفعهم لاختراق النيران بغية القيام بالواجب ، وجهل الجنود بمعرفة الاتجاهات واستعمال الفؤوس في الغابات ، وجهلهم أيضاً إيقاد نار في يوم اشتدت فيه الرياح أو هطلت فيه الأمطار : كل هذه أوحت إليه المبدأ الذي نسير عليه

فلما وضعت حرب البوير أوزارها آلى السير روبرت بادن باول على نفسه أن ينشر نظام الفتية الصغار بطريقة أوسع وأنظم في بريطانيا العظمى إذا ما ألقى عصاه بها . ولما رجع إلى وطنه لم يأل جهداً في تنفيذ فكرته فأقام معسكراً تدريبياً في جزيرة صغيرة تسمى برونس ونجح نجاحاً جاوز الآمال فيه . شجع نجاح ذلك المعسكر السير روبرت بادن باول على المضي قدماً فجاهر بفكرته وأعلنها للملأ ؛ فتندد بها الاستعماريون لما فيها من إخاء عالي ولما تحويه من إزالة للفوارق الصناعية بين الإنسان وأخيه الإنسان ؛ وازدراها الاشتراكيون لأنهم توهموها عسكرية مقنعة ليس فيها للخير الإنسانية من شيء ، وسخر كثير من زيها ورأوا فيه خروجاً عن اللياقة وضرباً من التصابي ، فصمد لهم جميعاً وساورهم إلى أن أصدر كتابه "Scouting for Boys" في ربيع سنة ١٩٠٨ وقد وجه فيه الخطاب للفتيان أنفسهم فأقبلوا عليه إقبالاً عظيماً والتهموا ما فيه التهاماً ، وانخرطوا في سلك الحركة مؤمنين بمبادئها مصدقين بتعاليمها

وفي عام ١٩١٠ أسست الكشافة ليتعلم فيها منتفعوها الصبر واحتمال المكاره والاستمساك بالعقيدة والاستهانة بكل شيء في الحياة عداها ، وبلقنهم البساطة والحياة الطبيعية لتطهر نفوسهم من الأطماع ولتتخلص من الدسائس والمواجس فيجتمع لكل

أبنائها إرادة قوية وعزم من حديد ، فإذا اجتمع للانسان الإرادة وطهرت نفسه وقوى إيمانه بفكرته فمن ذا الذى يستطيع أن يقف فى طريقه ؟

وعاش الكشافون عيشة التقشف : ألم يعش الخلفاء الراشدون عيشة الفقر وأملاك دولتهم تمتد وتتسع ، ورقعة امبراطوريتهم تعظم وتتراءى ؟ ألم يكن رداء عمر (مرقعة) ذهب أصلها وبقيت رقعها وجيوش المسلمين تهد امبراطورية الروم ؟ ألم يرسم محمد صلى الله عليه وسلم للقادة والزعماء وأصحاب الرسالات والمبادئ والعقائد دستوراً جليلاً حكيماً حين قال : « طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة . اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً وأدخلنى فى زمرة المساكين » . اتخذ بادن باول لجماعته زياً خاصاً خاكى اللون رخيص الثمن بسيط المظهر ؛ وشجعهم على عقد الاجتماعات والقيام بالرحلات والمخيمات ، وعلمهم الاقتصاد فى معيشتهم ، وعودهم إلى الأخوة فى مأكلهم ومشربهم ، والمحبة فى معاملاتهم والإخلاص فى صداقتهم ، ومنعهم عن التدخين وشرب الخمور ، وحرم عليهم الفسق والفجور ، ليحفظ لهم صحة أجسادهم وقوة أبدانهم وسلامة عقولهم وبارز شخصياتهم ووافر كرامتهم .

لم يكن وقت التمرين قاصراً على التربية البدنية ، بل تعداها إلى التربية الروحية ؛ فأقام المخيمات التدريبية لبث الروح العسكرية فيهم ، وألقى المحاضرات التاريخية ليزيدهم تعلقاً بكل ما هو قوى ، ومحبة لكل ما هو وطنى ، وأذكى فيهم شعلة الحماس بالأغانى القومية والأناشيد الوطنية . ويعزى السبب فى انتشار الكشافة إلى إيمان بادن باول وعقيدته فى صحة ما يدعو إليه . ولا غرو ، فإن أصحاب المذاهب والمبادىء الاجتماعية الكبرى التى أثرت فى تاريخ العالم وغيرت مجراه لم يتمكنوا من جذب النفوس إلى مبادئها إلا بعد أن ثملوا بخمرتها ، وبذلك أمكنهم توليد تلك القوة العظيمة الأثر فى النفوس ، ألا وهى الإيمان ، وهى التى تجعل المرء عبداً لمذاهبه .

وقد تزوج اللورد روبرت بادن باول فى اكتوبر سنة ١٩١٣ بمس أوليف ورزق منها ولداً وابنتين ، وانتخب كشافاً أعظم للعالم فى أول معسكر دولى أقيم فى انجلترا سنة ١٩٢٠ ، ولقد أنعم عليه صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى جورج الخامس عام ١٩٣٠ بلقب لورد جزاء وفاقاً على قام ما به من عمل جليل .

وكرمته جامعة ليفربول ومنحته لقب دكتور فى القانون (L. L. D.) ولقد جمع اللورد بادن باول خريجى معهد جلويل بارك Gilwell Park المخصص لتدريب معلمى الكشافة على فنونها المختلفة نظرياً وعملياً ، وهو قصر فخم وسط ضيعة كبيرة فى مقاطعة اسكس بالقرب من لندن وسألهم أن ينتخبوا له اسمه الجديد الذى يضاف عادة بعد اللوردية فأجمعوا على جلويل فاغتبط به وأظهر ارتياحه

فبادن باول رجل خليق أن يعلم عنه شيئاً وأن يشغل حيزاً فى ذاكرة كل فرد منا ومكانة فى نفس كل واحد ؛ ولا غرو إذا تقدمنا لقراء الرسالة بسيرة هذا البطل إعجاباً بهذا الطراز الجديد من الرجال وهم الذين لم يشهدوا فى عصرنا غير رجال مزيفين من الحواشى . رجال أو أشباه رجال ولا رجال ممن لم يحذقوا غير التخنث والأناقة ولم يبرعوا فى غير الخبث والمكر ومضغ الكلام وتزجيج الحواجب ! أو بالاختصار رجال من أولئك الذين تلقى بهم المصادفة فى طريق العظماء وتأتى بهم الظروف إلى مجالس الأمراء وأهل الخطر والشأو البعيد . وما أوسع المسافة بين أمثال هؤلاء وبين هذا الرجل النبيل المعزز الجانب الذى تعبق منه روائح المعسكر والخيام كما يعبق منه أريج المخدع والصالون ! رجل وأى رجل ! من كان يدور بخلده أن صبى فرنسا وصبى استراليا وصبى مصر وصبى أمريكا يتلاقون فى مكان واحد : لا يفرقهم جنس ولا تنفرهم ديانة ولا تبعدهم لغة أو سياسة ؟ ومن كان يتوهم ولو على سبيل التفكهة أو الدعابة أن ابن مصر الشرق الناطق بالضاد تأخذه العصبية الكشفية فينهض إلى منافسة ابن التاميز الغربى فى اعتناق مذهب التربية الحديث

إنها آية الكشف وإنها معجزة بادن باول أن يأتلف الشباب حول المبادئ الكشفية ، وإن شئت فقل إنها مبادئ الشباب الحديث الذى يريد أن يرث الأرض جميعاً لا فرق عنده بين وطن وغربة

إن شئت فقل عنها إنها آداب المعاشرة وآداب المؤاكلة وآداب العائلة وآداب الإنسانية وآداب المجتمع الراقى وآداب الحياة الصحيحة الخالية من شوائب السعادة . فما أعذبها مبادئ لو أن السياسة تتركها وشأنها فى الدنيا دون أن تعكر لها صفو أو تكدر لها مجتمعاً

إنما هى فى الواقع توحيد لنظم التربية وعامل قوى لإزالة

من وراء المنظار

محمد أفندى ...!

قيل وما أكثر ما قيل إن قلة الذوق فى مجتمعاتنا مردها فى الغالب إلى خلوها من المرأة ؛ وإلى هذا أشار صاحب الرسالة فى أكثر من مناسبة ، وعنده أن الشباب إذا ازدانت مجتمعاتهم بالأوانس شدوا الشكيمة وكبحوا جماحهم وحرص كل امرىء منهم على أن يظهر على خير ما يحب من دماثة الخلق ورقة الحاشية ولطف الحديث

ولكن منظارى قاتله الله بل عافاه الله وصرف عنه كل غشاوة يأبى إلا أن يكشف لى عن موقف لا تتحقق فيه هذه الفكرة بل لقد نقضت فيه من أصولها وجاء الأمر على عكس ما تفاءل المتفائلون وتمنى الكاتبون

كنت مسافراً إلى الريف الحبيب فى قطار فالتقيت فى ممر من ممراته بثلاثة من الشبان تقاربت أعمارهم ، وكان كل منهم بادى العافية حسن البزة متهلل القسمات ؛ ونادى أحدهم رابعاً لم يكن فى اتجاهى يسبقنى بخطوات فقال له : أمامك فى هذه العربة قبل الآخر بديوان تجد محمد أفندى إلى جانب الشباك الأيمن وقد حجزنا أمكنة فانتظرنا هناك

ودخل « رابعهم » هذا الديوان المشار إليه وأحسست كأنى أنجذب إلى هذا الديوان نفسه فدخلت واتخذت مكانى ، ولكنى لم أجد إلى جانب الشباك الأيمن غير آنسة أجنبية لم تقع عينى فى نهارى كله على أجمل منها صورة وأملح منها محيا ، وبدت لى فى منتصف العقد الثالث من عمرها كالوردة فى زمن الورد بلغت أقصى تفتحها ومنتهى ريعانها

وكانت متجهة ببصرها إلى النافذة ، لا تلتفت إلا ريثما ترمق الداخل ، ثم تعود فتتجه اتجاهها الأول ، وكان على محياها الجميل ما يشبه الهم من فرط سكونها واحتشامها

وتحرك القطار وجاء الشبان الثلاثة وجلسوا فى ضوضاء بعد أن نظر كل منهم إلى هيئته فى المرآة ، فأصلح ما تشعث منها ، وتشاغلت عنهم بكتاب فى يدى ، ولكن منظارى لم يغفل عنهم ، فرأيتهم يتخاطبون بالأحداق لحظة ، وعلى فم كل منهم ابتسامة خبيثة ، وكلهم يومىء لصاحبه برأسه نحو النافذة اليمنى

وقطع أحدهم فترة هذه الإشارات اللاسلكية بقوله : « محمد أفندى تقلان علينا يمنى قوى » ؛ وضحك الآخرون ضحكات ماجنة مائعة ... وفطنت أن محمد أفندى لم يكن غير تلك الآنسة التى تتجه بنظرها إلى الفضاء الممتد خارج القطار !

وأيقن أربعتهم أنها لا تعرف العربية . فانطلقت ألسنتهم بألوان من القحة ، عجبت ولن أزال فى عجب ، أن لم يبد على وجه أحدهم أى قدر من الخجل لتلك الألفاظ التى أخجل الآن لمجرد أن أتذكرها ؛ ثم ذهب كل منهم يتظرف بما وسعته سماجته ، فهذا يأتى بضروب من النكات لا يسيغها إلا ذوقه وذوق أصحابه ، وذلك يداعب خاتمه الماسى وساعته الذهبية ، وآخر يخرج حافظة نقوده فيقلب الأوراق المالية ثم يردها إلى جيبه ، هذا فضلاً عما تنافسوا فى سرده من المغامرات التى صرف فيها ما صرف من الأموال وكلها بالضرورة من نسج الخيال — كل أولئك و « محمد أفندى » فى شغل عن ظرفهم ولطف حديثهم بالنظر إلى فضاء الأرض

ولما أفرغوا ما فى جعبهم من بارد النكات وسخيف الحكايات انتظرت أن يتطرق إليهم اليأس أو يمسهم شىء من برودة الموقف فيخجلون ؛ ولكنهم انتقلوا إلى ما هو أدهى وأمر مما كانوا فيه فراحوا يصفون فى طريقة بهيمية جمال تلك الآنسة التى لم يبد على قسماتها إلا ما يبدو على قسمات تمثال من التماثيل من الثبات

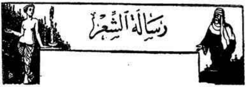
الفوارق ، لكن أبى الكشف وغير الكشف أن يزيل الفوارق وفى الدنيا من جنود الشيطان أضعاف أضعاف بنى الإنسان

رحمك الله يا جبار الكشف وأنعم بك من مرب حطم القيود وزحزح العقبات من طريق مبادئه الصحيحة !

ها هى ذى الفقرة الأخيرة من رسالته التى أذاعها لأبنائه كشافى العالم من روديسيا : « لقد عشت جندياً ثم كشافاً ، أما المرحلة الثالثة من حياتى فتتوقف على ما يريده لى الأطباء »

ذلكم هو المرحوم الدكتور روبرت بادن باول ولورد جلويل وملك قلب كل كشاف ، فرحمة الله رحمة واسعة

خميس زهران
زعيم جوالة باسكندرية



نهر النسيان ...!

[إلى الذين هموا بالرحيل ولم يعرفوا إلى أين .. !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

اسقياني من خمرة النسيان   وانسياني فقد نسيت زماني !
ونسيت الشباب والسحر والأحـلام والفن والرؤى والأغاني
ونسيت المنى وكانت شعاعا   باهت الظل حائرا في جناني
ونسيت الأسى وكان رياحا   أزجت الجن خطوها في كياني
ونسيت الأيام حتى تلاشت   كهشيم على تراب الزمان
ونسيت الأنغام رعاشة الشد   و حيارى حزينة العيدان
ونسيت الدموع وهي أغان   أخرستها زوابع الأحزان
غردات السكون مخنوقة اللحـن تشاجت بسحرها أجفاني !

على حال واحدة ، ثم شاءت لهم دماثتهم أن يجعلوها موضعاً لنكاتهم فهي ابنة بائع اسفنج في الريف أو هي لا تكلف أكثر من نصف ريال يدفع لحزبي إلى غير ذلك مما أمسك القلم عن ذكره من عبارات هؤلاء الظرفاء المهذبين !

ودنا القطار أخيراً من إحدى المدن فنهضت الفتاة لتنزل ومدت يدها إلى الرف لتأخذ حقيبة صغيرة فتقدم أحد هؤلاء الظرفاء وأنزلها لها فتناولتها وهي تقول له في عبارة فصيحة : « أشكرك جداً يا أفندي » ثم خرجت من الديوان

ونظرت إلى وجوههم وحمرة الخجل تلهب وجنتي ، وأشهد لقد شاعت في تلك الوجوه الصفيقة شيء من هذه الحمرة ولكن لعل ذلك مرجعه إلى وجودي ، ولعلهم لو كانوا وحدهم لأجابوها بضحكة من ضحكاتهم أو بنكتة من ظريف نكاتهم .

الخفيف

ونسيت الجمال حتى كأني   لم أضمخ بنوره أجفاني
فنسيت العبير والزهر يذكيـه بفجر الطبيعة النعسان
ونسيت الندى وقد كان خمرا   لبني الطير لم ترق في دنان
ونسيت الأنسام تنقل في المر   ج صلاة الطيور للغدران
ونسيت النجوم وهي على الأفـق نشيد مبعثر الأوزان
ونسيت الربيع وهو نديم الشـعر والطير والهوى والأماني
ونسيت الخريف وهو صبا ما   ت فسجته شيبة الأغصان
ونسيت الظلام وهو أسى الأر   ض وتابوت شجوها الحيران
ونسيت الأكواخ وهي قلوب   داميات تلفعت بالدخان
ونسيت القصور وهي قبور   ضاحكات البلى من البهتان
ونسيت النعيم والبؤس ماذا   تركا لي من شقوة أو أمان ؟
ونسيت السلام والحرب سيا   ن شذا النور أو لظى البركان
ونسيت الهدوء والضجة الهو   جاء سيان سكتتي أو بياني !
ونسيت الكلام ماذا جنى المضـني إليه سوى بغاء اللسان ؟
ونسيت السكون وهو عزيف   أبدي الصدى أشل المثاني
ونسيت الحياة وهي رماد   نفخت ذره يد الشيطان
ونسيت الفناء وهو بجسمي   هادم يرصد الفناء لباني !
ونسيت النسيان والذكر حتى   صرت وهما في خاطر النسيان !
وتجردت من زماني وكوني   لزمان محجب عن عياني
وإذا بي في قفرة ألقت الصمـت عليها صوامع الرهبان
خاصم الدهر ليلها فهي دهر   ما رأته مرابة الأكوان
ولوى الجن خطوه عن ثراها   فهي حتف لكل إنس وجان
لا ظلام ، ولا ضياء ، ولكن   غيهب حائر على الكثبان
لا سكون ، ولا ضجيج ، ولكن   همهمات يلغطن في وجداني
جبت فيها حيران أقذف نفسي   في خضم مغيب الشطآن
وإذا أشيب يغمغم كالمجـنون بين السهول والوديان
شعوذته السماء فهو خيال   يتزيا بصورة الإنسان

آدَمِيُّ الرُّوَاءِ أذهلهُ الوهـــمُ وغشَّتهُ هَبْـلةُ الحيوانِ
نَقشَ العنكبوتُ فوقَ مُحيَّا   هُ ظلالاً من صُفرةِ الأكفانِ
مُقلتاهُ بئرانِ دلوُهما الظَّـــنُّ وغيبانِ في الدُّجى تائهانِ!
وَيداهُ لقامةِ الزَّمنِ الأعْـــرجِ عُكَّازتانِ مشدوختانِ!
ضمَّ إحداهما ولوَّحَ بالأُخـــرى لوادٍ مُخدَّرٍ نعسانِ
فيهِ نهرٌ من الدموعِ، وجُبٌّ   مُترعٌ بالأنينِ والأشجانِ
وقلوبٌ أقلَّها بينَ جنبيـــهِ سفينٌ يجري بلا رُبَّانِ
والِهاتٌ، مُجرَّحاتٌ، حزانى   مزَّقتها فواجعُ الأزمانِ
بينها ثاكلٌ، وآخرُ شجَّتـــهُ يدٌ للأسى بغيرِ سِنانِ
وشقيٌّ يسوقهُ نحسُ دنيا   هُ إلى مرفأٍ شقيِّ المكانِ
ويتيمٌ، وبائسٌ، وغريبٌ   وشريدٌ مُقطَّعُ الأرسانِ
ومُنادٍ دعا الأماني فصدَّتـــهُ! وعادتْ إليهِ بعدَ الأوانِ
وحبيبٌ أذابهُ في لهبِ الأسْـــقامِ والسُّهدِ صرعةُ الحرمانِ
وطعينٌ بخنجرِ الظلمِ باكٍ   دفنتْ نوحَهُ يدُ الطغيانِ
أرعشتني السفينُ واستلبَ الأشْـــيبُ وعيي، ربَّاهُ ماذا دهاني؟
فتهاويتُ كالهشيمِ على أشـــلاءِ روحي المُمزَّعِ الأسيانِ!
ثمَّ ناديتهُ فأمعنَ في الصمْـــتِ قليلاً وصاحَ بي: مَن دعاني؟
قلتُ: روحٌ مُعذَّبٌ! قالَ: مِن أيـــنَ؟ فقلتُ: الأسى إليكَ رماني
ملَّني أشتقي الهدوءَ، وألقى   بينَ كفَّيكَ راحةَ السُّلوانِ!
قالَ: أقبِلْ فكم بدُنياكَ صرعى   شربوا من يديَّ رحيقَ الحنانِ
فتلاشتْ دموعُهم، أرأيتَ الشَّـــكَّ تُبليهِ ثورةُ الإيمانِ!
واستطارتْ شجونُهم أرأيتَ الطَّيْـــفَ تطويهِ هبَّةُ الوسنانِ!
قلتُ: من أنتَ؟ قالَ: رؤيا خيالٍ   كلُّ حيٍّ على الوجودِ رآني!
أنا معنًى في خاطرِ الغيبِ ذابتْ   حولَ أسوارِهِ جميعُ المعاني
أنا كهفٌ مُغلَّفٌ في حشا الدهْـــرِ يشعُّ الفناءُ من جُدراني
غلغلتْ في ثراي دُنيا الشقيِّيـــنَ، ولاذَ الوجومُ في أركاني
وارتمتْ حوليَ الحظوظُ التعيساتُ، ونامَ العذابُ في أحضاني
مدفنٌ للخطوبِ قلبي، ومنفًى   أبديٌّ لنكبةِ الحدثانِ!
أنا طبُّ الأيامِ أشفي جراحا   تِ الزمانِ المُرزَّإِ اللهفانِ
أنا بحرُ الهدوءِ من ملَّ دنيا   هُ رمى عبأها على شطآني
منذُ ما دبَّتِ الخلائقُ حولي   لقَّبتني السماءُ «بالنسيانِ»
فنسيتُ الحياةَ والموتَ ما أدْ   ري أحيٌّ أنا هنا أم فانِ؟!
مرَّ بي «آدمٌ» قديماً فأومأ   تُ إليهِ بطرفِ هذا البنانِ
فسقى قلبَهُ من النهرِ كأساً   وتلاشى عن أعيُني في ثوانِ
وإذا بي أراهُ يهتِكُ سرَّ الْـــخلدِ في غيرِ هدأةٍ أو توانِ
مالَ بالدوحةِ التي قدَّسَ اللـــهُ جناها فلم تنلها يدانِ
وجنى من ثمارِها هذهِ الدُّنْـــيا وأحداثَ هذهِ الأكوانِ
عبَّ خمري فأذهلتهُ عن الغيـــبِ وأقصتهُ عن ظلالِ الجِنانِ!
ليتهُ لم يذقْ رحيقي ولم يهْـــرعْ لنهري ولم يطاوعْ بناني!
أنا سرُّ الوجودِ من رامَ سرِّي   نسيَ الحشرَ قلبُهُ في جناني..

... ...

قلتُ: يا حاديَ الخطايا لقبرٍ   مرَّدتْ رُكنَهُ يدُ الغفرانِ!
يا هوايَ الذي تهافتُ بالرُّو   حِ عليهِ وبالحِجا والجَنانِ
أينما سرتُ جرَّ طيفَكَ أحلا   مي ومن نهرِكَ المُصفَّى سقاني
منذُ ما جئتُ للثرى وأنا صبُّـــكَ فارحمْ عبادتي وافتتاني!
مزَّقتني أشواكُ دنيايَ واغتا   لتْ شبابي وأزعجتْ ألحاني!
الهوى والنشيدُ — يرعاهما اللـــهُ — بتيهِ الخلودِ قد ضيَّعاني!
تركاني أهيمُ كالعاصفِ المشْـــدوهِ في كلِّ بُقعةٍ ومكانِ
لاذَ عُمري بشاطئيكَ فدعني   في ثراكَ القريبِ أدفنْ زماني
فتمطَّى فزلزلَ الأرضَ تحتي   وطوى الصمتَ في الفلا إذ طواني

محمود حسن اسماعيل

حكم استئنافيا بتغريم عبد القادر حسن المداوى التاجر بمصر القديمة بالقضية ١٦٠٩٩ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٠ جنيهان لبيعه خبزا بأزيد من التسعيرة .



شيء فظيع

أربعة قتلى ، والخامس له الله

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أيام العصر الذهبي لشركة ترقية التمثيل العربي ، أخرجت هذه الشركة رواية عن « محمد على الكبير » . وأسرفت الشركة في الإنفاق على إخراج هذه الرواية إسرافاً كان يريد أن يناسب ذكرى ذلك الأسد الذي جاء مصر جندياً صغيراً ثم استولى عليها بأخلاقه وعقله وشخصيته ، ثم نفخ فيها من هذه الأخلاق وهذا العقل وهذه الشخصية الملكية ما استطاعت مصر أن تستولى به على غيرها من جاراتها القريبات والبعيدات ، حتى لقد هجمت على تركيا الشامخة بقوتها الفتية الحقة ، وحتى لم تجد تركيا مفراً من أن تستنجد بانجلترا وفرنسا ، وروسيا أيضاً على ما أظن ، لتقف هذه الدول مجتمعة تيار الهجمة المصرية الجارفة ...

هذه الذكرى الجبارة ، أرادت شركة ترقية التمثيل العربي أن تخلدها برواية « محمد على الكبير » فلم تأل جهداً في إعداد العدة لها ، ولقد استعانت الشركة أيامها بالسراى الملكية نفسها ، فاستأذنتها في أن يطلع مندوبون منها على مخلفات محمد على الكبير في متحف القصر ، وأن يأخذوا لها صوراً ورسوماً ما أرادوا ذلك ، وكان أن تم كل الاستعداد على أكمل الوجوه ، وكان أن وعد المغفور له الملك الأسد المسلم فؤاد الأول بشهود التمثيل في الليلة الأولى ...

وهنا نقف وقفة أمام طيف فؤاد الأول فقيدنا الكريم

لقد كان رحمه الله رجلاً فذاً له جلال وله رهبة . وكانت تنبث من ذاته ملكية طبيعية تنتشر حوله فإذا كل ما اشتملته خاضع لها خضوعاً طبيعياً لا إرادة فيه ، وكان فيه من الحيوية ما ينشر هذه القوة إلى أفق بعيد قد لا تستطيع شخصية أخرى أن تمد سلطانها الطبيعي إليه . وقد لحظت هذا عند ما افتتح رحمه الله الجامعة المصرية في سنة ٣١ أو ٣٢ إذ أعدت الجامعة له سرادقاً هائلاً في الفضاء الذي كان خلف كلية الآداب ، وأعدت له الجامعة عرشاً نصبته على منصة عالية ، فلما جلس جلالته على العرش مستمعاً إلى الخطباء ، ولما وقف الجارم بك يلقى شعراً انصرفت أنا عن الشعر ، وكنت بين الطلاب ، إلى مشاهدة هذا الجمع والتأمل فيه ، وكان أن مددت بصرى إلى نهاية السرادق أو نهاياته جميعاً ، فإذا بي أرى كل فرد من هـذا الزحم قد ترك الشعر مثلما تركته أنا ، وأسلم نفسه بحواسه جميعاً إلى هذا الملك كأنه ينتظر منه أن يلقى إليه إشارة فيسرع إلى تلبية الإشارة . . . كل فرد كان على هذه الحال ، ومن يومها آمنت بأن فؤاد الأول لو لم يكن ملكاً لكان ملكاً ...

أمام هذه الشخصية ... من الذي يستطيع أن يمثل دور محمد على الكبير تمثيلاً حياً ، يبدأ حياً ، ويستمر حياً وينتهي بانتهاء الرواية حياً لا تخلخل فيه ولا هبوط ؟!...

لقد كانت مشكلة ، ولقد حلتها شركة ترقية التمثيل العربي بأن عهدت بالدور إلى عبد العزيز خليل ...

ووجدها عبد العزيز خليل فرصة العمر

وفي ليلة الملك هدر عبد العزيز خليل ساعتين أو ثلاث ساعات من ساعات يقظته الفكرية وهي الساعات القليلة التي تمد في حياة الفنان الإنتاجية في إعداد شكله ونفسه بالمكياج ، أما شكله فقد لعب فيه بالأدهان والشعر والأصباغ ، وأما نفسه فقد لعب فيها بالكبر ليكون كالرجل الكبير الذي سيمثله ، وبالتقوى حتى يكون كالرجل القوى الذي سيفيده إلى الأنظار والأسماع والأفئدة ، وبالتسلط حتى يكون كذلك السلطان محمد على

ورفعت الستار ، وبدأت الرواية ودخل محمد على ... محمد علي الممثل دخل إلى المسرح

ولكن حدث أن حضرة صاحب الجلالة الملك بالقوة والحق فؤاد الأول وقف احتراماً لمحمد على ... فوقف الشهود معه أمراء ووزراء ومن هم دون ذلك

فهل كان جلالته يقف لأى ممثل آخر ... مهما كان الممثل!

لا . وإنما جلالته وقف جزاء وتكريماً لهذا الممثل الذى أفنى نفسه واستحضر بدلاً منها نفس محمد على ، فلم يبد من نفسه شىء وإنما دخل إلى المسرح وهو محمد على فلم يكن عجباً من حفيد محمد على أن يقوم إجلالاً لمحمد على هذا الذى يراه ماثلاً أمامه ...

لقد اضطرب عبد العزيز خليل ولم يعرف كيف يتخلص من هذا الموقف المربك ، فكان أن ألهمه الله الخلاص إذ أشار بيده إشارة شاملة إلى الممثلين من حوله وقال : تفضلوا يا أولادى

وانتهى التمثيل ، وبلّغت السراى إعجابها إلى الأستاذ عبد العزيز خليل ، ومنحت شركة ترقية التمثيل العربى ممثلها هذا الفذ مبلغاً كبيراً من المال مكافأة له على تشريفها فى عينى الملك

ودارت الأيام ، وانفضت شركة التمثيل العربى ... وإذا بعبد العزيز خليل ممثل معطل ، حتى الفرقة القومية التى تضم الأساتذة : محمد على إسماعيل ، وإبراهيم محمود عبد الله ، وعبد الله محمود إبراهيم ، لا تريد أن تعترف بالأستاذ عبد العزيز خليل ممثلاً

لماذا ... ؟

ليس هناك سبب إلا أنه ممثل عظيم ، وأنه وصل إلى مالم يصل إليه ممثل مصرى ؛ وهذا عند أهل التمثيل كاف جداً لأن يكون مبرراً للقتل ؛ فكلما جاء ذكر عبد العزيز خليل جاءت معه الغيرة وجاءت معه النميمة ، والاغتياب ، والتهم الحقة والتهم الباطلة ، وكل ما يمنع عنه الرزق والخبز والماء والهواء إذا أمكن ...

فإذا ثار عبد العزيز من شدة هذا الضغط الحرام وقال كلمة نابية ، أو كلمة خارجة استشهد على هذه الكلمة الشهود وحوسب عليها أشد الحساب ... وغيره يا ما أكثر ما يقول ، ويا ما أكثر ما يفعل ، ولكنه مسامح ومقبول منه كل ما يقول وكل ما يفعل إذ لا خطر منه على أهل الفن كالخطر المنظور من عبد العزيز خليل والرؤساء يسممون الداهنين المتملقين ، ولا يسممون الصادقين

وعلى هذا الأساس سيموت عبد العزيز جوعاً فى مصر بعد أن مات عطشاً إلى فنه ...

فإلى من يشكو عبد العزيز وأمثاله ؟! ...

إلى الله وإنه سميع مجيب ... وهو الرزاق وحده ، وهو المنتقم الغفار ، الجبار الرحيم

***

وعبد الحميد الديب ، الشاعر الذى يهجو بالشعر الأستاذ العقاد ويأخذ منه أجر الهجاء

لماذا يعطيه الأستاذ العقاد أجراً على هجائه وهو الذى إذا عمد إلى القلم هاجياً تقصفت أمام هجائه الأقلام ؟ ... لاريب أن العقاد يشعر بحلاوة فى هجاء الديب ، وهذا الشعور اعتراف من العقاد بأن الديب أديب كبير وشاعر يفاجئه بمعان وأخيلة يستحسنها ويطرب لها ... وشهادة العقاد واعترافه لها أثرها فى حياة الكثيرين من الأدباء فى مصر ؛ فهناك ناس أصبحوا بين الأدباء المدودين والشعراء الملحوظين ، وما كانوا ليكونوا شيئاً مذكوراً لولا أن العقاد زكاهم بكلمة أو كلمتين ...

وهذا عبد الحميد الديب لا ريب أنه كان يحب من الأستاذ العقاد كلمة عن شعره وأدبه ينشرها فترفعه من صفوف المغمورين الجياع إلى صفوف البارزين الرماحين ...

ولكن الأستاذ العقاد له من شغله ما ينسيه عبد الحميد الديب فلا يذكره إلا وقت ما يراه ، ووقت ما يستمع إلى هجائه ، ووقت ما يدفع ثمن هذا الهجاء ... ثم ينساه ...

لقد ضاقت الحياة النظيفة بعبد الحميد الديب . وانجرف فى تيار لا ريب أنه أول من يكرهه ويمقته ، ولكن كيف سبيله إلى الحياة النظيفة وهو كلما طرق باب عمل فى صحيفة طن الذباب وأزت الصراصير فى آذان أصحاب العمل بأن هذا رجل فاسد وأنه كيت وكيت ، كأن أولئك الذباب والصراصير من مختلسى حرفة الأدب والشعر لا فساد فيهم ولا كيت ولا كيت ، والواقع الذى يعلمه الله أنهم كلهم فساد وكيت وكيت ...

الذباب والصراصير ...

أنقذ الله منهم عبد الحميد الديب ...

وحسن سلامة ... اللحن الذى أنجذب إلى حسن الأنوثة وجمالها فانطبعت فى روحه بحركاتها وسكناتها ، والذى يلحن كلما ضاق به الحال لبديعة أو بيا لحناً أو لحنين ولا يعود إليهما إلا إذا ضاقت به الحال مرة أخرى ... والذى كلما لحن لحناً اغتصبته « المونولوجيستات » و « العوالم » ورحن يتاجرن به فى الليالى والأفراح ملاقيات ما شاء الله من النجاح والترحيب والأجر الكريم ... وصاحب الحق الأول فى هذا كله مغمور مفلس لا يهتم به أحد لأنه إذا اهتم به أحد ظهر فى الميدان ظهوراً قد تنكسف معه أضواء الكثيرين من الكواكب والنجوم ...

وعلى هذا أيضاً تلوثت سمعة حسن سلامة ، فكلما اقترح مقترح على واحد أو واحدة من أصحاب العمل باستغلال مواهب حسن سلامة هيأ الشيطان لحسن عقلاً ذميماً مناعاً للخير معتدياً أثيماً يقول إن حسن سلامة مجنون بالنسوان وأنه خطر على الراقصات والمغنيات اللواتى يجمعهن به العمل ، وأنه خطف فلانة من مسرح كذا ، وفلانة من صالة كذا

والمسكين لا يخطف ولا يغتصب وإنما هو يتزوج ويطلق بحثاً وراء الراحة والعيش المطمئن ...

إن هذا اللحن جدير بأن يعهد إليه استوديو مصر تلحين الأغانى فى أفلام استعراضية قصيرة يتوفر عليها مخرج لبق رشيق وتقوم بأدائها فنيات خفيفات كأولئك اللواتى نراهن فى استعراضات هوليود ...

هذا صحيح ... ولكن أين هو ذلك المخرج ، وأين هن الراقصات ، وأين هو ذلك المدير الذى يسمح للحن شاب بالتجلى والظهور يتبعهما المجد والربح الوفير

لا شيء من هذا فى مصر ... وإنما يجب على حسن سلامة أن يموت ...

* * *

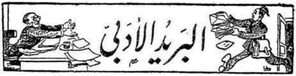
وسيد سليمان ... الذى لا تنقصه الصبغة ليكون مثل « آل جولسن » ... إنه مغن وممثل ومونولوجست وزجال أيضاً لو أن الفرصة أتيحت له للظهور فى السينما لجذب الجماهير وقفز قفزة قد يعلو بها على مرتبة القابضين والقابضات على خناق الفن فى مصر ... ولو أنه أتيح له أن يلقى مونولوجاته الاجتماعية الحية بين الفصول الدسمة جداً التى تمثلها الفرقة القومية لغطى على الفرقة وفنها الهائل جداً ...

ولكن منذا الذى يسمح له بهذا ؟ ... أهم مجانين ... إن عليه أن يموت ... ولكنه لن يموت ...

* * *

هؤلاء أربعة ... والخامس ...

عزيز أحمد فهمى



العوائد (١)

الأستاذ مصطفى محمد ابرهيم ضم (الأهالى) محسناً إلى قبيل العربية، والأهالى والأهلون والأهلات(٢) عربيات خالصات. وحاول الأستاذ أن ينقذ (العائلة) فى (تحرير المرأة) إنقاذاً لغوياً ... بيد أنه نسى (العوائد) أو تناساها، فهل يحاشى صاحبه ناقدها الأستاذ محمداً أبا بكر ابرهيم فى تخطئته إياها؟

إن العلامة الفيومى فى (المصباح المنير) يقول: العادة معروفة والجمع عاد وعادات وعوائد(٣)

والعلامة الشيخ ابرهيم اليازجى تقبل (العوائد) فى (الضياء) تقبلاً مليحاً على حنبلية فى اللغة عنده وعلى ولعه بتخطئة الصحيح، فقد ورد هذا الجمع فى مقالة له لا لغيره فى مجلته: «... ولا يطالب علماء هذه الأيام الوقوف عليها (أى على طائفة من الكتب)، إلا بقصد الاطلاع على الشيء الغريب، كما يحب أحدنا الاطلاع على (عوائد) أهل الصين»(٤). وروى نصًّا فى التاج فى جواب سؤال: ومن جموع العادة عوائد ذكره فى المصباح وغيره وهو نظير حوائج فى جمع حاجة نقله شيخنا» ثم قال ـ أعنى اليازجى ـ: «فالظاهر من هذا النص أن هذا الجمع منقول عن العرب لثبوته عند أئمة اللغة(٥)»

وبين العلامة الفيلسوف ابن خلدون وبين(٦) (العوائد) حلف أو محالفة أو معاهدة متينة مستمرة فهو لا يترك (عوائده) هذه فى حال فى مقام يقتضيها:

(١) تراجع الرسالة ٣٨٩ و ٣٩١ ص ١٨٢٢ و ١٨٧٨

(٢) الأهلات من جموع الأهل وهي بسكون الهاء وفتحها، وفى اللسان: الأهالى جمع الجمع

(٣) زاد بعضهم العيد ...

(٤) السنة ٤ ص ٣٥٥

(٥) السنة ٢ ص ٤٠٤

(٦) تكرير بين مع الظاهر أكثر من الكثير فى كلام الجاهليين والاسلاميين والأئمة، وقد أخطأ الحريرى فى تخطئة ذلك

«... — فى أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله و (عوائده) — والسبب فى ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فى من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر(١) عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك انتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به؛ أو لما تراه من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحله من (العوائد) والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأول، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه وفى سائر أحواله»

«أن (العوائد) تقلب طباع الإنسان إلى مألوفها، فهو ابن (عوائده) لا ابن نسبه»

«... — فى أن رسوخ الصنائع فى الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها — والسبب فى ذلك ظاهر، وهو أن هذه كلها (عوائد) للعمران والألوان، و (العوائد) إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد، فتستحكم صبغة ذلك، وترسخ فى الأجيال(٢)»

فهذه (العوائد) التى طولنا الكلام فيها أو عليها هى من جموع العادة والسلام.

***

بشر بن عوانة

قالت جريدة المكشوف البيروتية فى مقال نشرته فى العدد (٢٨٣) بعنوان «شاعر جاهلى غير موجود يعيش ألف سنة»:

إن الأستاذ بطرس البستانى صاحب كتاب «أدباء العرب» كان فيما تعلم أول من أنكر وجود بشر بن عوانة، وأظهر أنه هو

(١) وقر فى قلبه كذا: وقع وبقى أثره (الأساس)

(٢) إنما يعنى ابن خلدون بالأجيال هنا هو مايقصده الدكتور زكى مبارك. وفى فصل آخر فى المقدمة. «... ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها (يعنى الصنائع أو الصناعات) من القوة أو الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئا على التدريج حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة، وإنما يحصل فى أزمان وأجيال» ويضاف إلى قول التاج فى الرسالة ٣٩٣ قول المصباح وهو هذا: «والقرن أيضا الجيل من الناس»

وقصيدته في وصف قتاله للأسد من خلق بديع الزمان الهمذاني في مقامته البشرية . والمكشوف التي جعلت من همها حماية الإنتاج الأدبي وتصحيح نسبته إلى صاحبه ، يسرها أن نعلم أن الرسالة هي أول من نبه إلى أسطورة بشر بن عوانة في الصفحة ٣٥ من عددها التاسع والسبعين الصادر في ٧ يناير سنة ١٩٣٥ ، وهو العدد الأول من سنتها الثالثة ، فنرجو أن تنبه إلى ذلك

حول العدد الممتاز من مجلة الحديث السورية

نوّه الأديب السيد نصار في العدد (٣٨٨) من (الرسالة) بالعدد الممتاز الذي أصدرته مجلة الحديث السورية ، وخصت به المستشرق المتحمر الدكتور (اسماعيل أحمد أدهم) ، وقد أشار إلى ما كتبه أدباء مصر الأعلام عن المستشرق المذكور ، وأغفل ذكر الكتاب الآخرين وقال : « وعداها لا توجد كلمات أخرى لكاتب مصرى ... ! » كأن الكلمات الأخرى لا تستحق التنويه والإشارة ، مع أن الوفاء كان يقضى على الأديب بأن يذكر الكتاب السوريين الآخرين (والمجلة سورية) ولا بدّ من التنويه بأنه إلى جانب كلمات إخواننا المصريين كلمات أخرى . منها كلمة عنوانها « دمعتى على أدهم » لأديبة الشام السيدة وداد سكاكيني ، وأخرى عن « قوة الإيمان وعذاب المفكرين » للأديبة الرقيقة الآنسة فلك طرزى صاحبة (الآراء والمشاعر) ، وقصيدة رائعة للشاعر المعروف عمر أبي ريشة عنوانها « ظمأ الروح » ، وثانية للشاعر الأديب الأستاذ زكى المحاسنى عنوانها « الستار » ، وثالثة للشاعر صلاح الأسير ، ورابعة للشاعر شارل نحورى ، وهؤلاء كلهم سوريون

ولعلى أعود إلى نقد العدد ومضامينه بعد حين .

(دمشق) المنجد

الى الدكتور زكي مبارك

قرأت مقالكم النفيس « مطالعات في الكتب والحياة » لعباس العقاد في مجلة الرسالة الغراء ولشدّ ما أعجبني حين اطلعت على ملاحظتكم الصغيرة حول كلمة الظرف إذ أنكم ضممتم الظاء فيها مراعين في ذلك الاتباع خصوصاً لأن الجمهور في مصر ينطق الظرف بضم الظاء ؛ فهل لى أن أستبين من ملاحظتكم هذه وأنتم من خلفاء سيبويه القرن العشرين أنكم لا تبالون بقواعد النحو والصرف بل تسيرون على منهج المراعاة في الاتباع من الألفاظ وتغالون في تحوير أصول تحتاج لتصحيح وقواعده السليمة ؟ وهل لى أن أنقدكم وأؤاخذكم على ذلك وأنتم أول من سبقني في نقده للأستاذ أحمد أمين وجنيه على الأدب العربي ، فحملتم حملة شعواء عليه لغلطة في التحريك ارتكبها وهو أمام المذياع .

وتفضلوا بقبول أسمى تحياتي إلى روحكم الطيبة من أبناء الجيل الجديد .

(حيفا — فلسطين) ادريس سليمان بحوث

فتيات في الأزهر

أتيح لى أن أستمع إلى المناظرة الطريفة التي أقيمت بطنطا بين فريق من طلاب الأزهر . وكان موضوع المناظرة يدور حول السماح للفتيات بالانتظام في سلك طلاب الأزهر على نحو ما هو متبع الآن في كليات الجامعة المصرية ...

وأذكر أن الأديبة أمينة السعيد كانت أول من أثار موضوع تعليم الفتاة في الأزهر ، فتحدثت إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي حديثاً نشرت خلاصته الصحف . أذكر منه أن فضيلته رحب بالفكرة على أن تكون الفتيات في عزلة عن الشبان ، أي أن تنشأ لهن فصول خاصة يتلقين فيها أصول الدين الحنيف »

وقد ذكر المستشرق الإنجليزي (مستردن) في كتابه « الحياة الفكرية والتعليمية في مصر في القرن التاسع عشر » ما خلاصته « أن الحملة الفرنسية في قدومها إلى مصر وجدت في صحن الأزهر بضع نساء يتعلمن إلى جانب الشبان ويتفقهن في قواعد الدين . وكانت هناك عالمة ضريرة يلتف الشبان حولها ويتلقون الدروس منها ؛ كما أنه كان في معهد طنطا الديني جماعة من الفتيات يحضرن الدروس الدينية ويستمعن إلى التفسير والحديث »

ابراهيم ابراهيم الخولي

تصحيح

كتب الأستاذ سيد قطب كلمة في العدد الماضي من الرسالة الغراء عن الذوق الفني في مصر وجهها إلى المدرسة الحديثة ، ولا أريد الآن التدخل بين الأستاذ وجماعة الأدب الحديث ،

فمشى رلف فى الغرفة ذهاباً وجيئة وهو مفقود الصبر ، ثم وقف أمامها فجأة وقال : أقسم بشرفى أنى لم آخذ المال ، وأنت تقولين أنك تحبينني ، ولكنك تعتقدين أنني مجرم ؛ وأنا أقسم بشرفى أنى برىء يا بيرتا

ثم قال بلهجة مؤلمة : لقد قضيت خمسة أعوام فى الجحيم ؛ ولكن آلامى فى هذه المدة لا تذكر بجانب الآلام التى أعانيها فى المستقبل إذا أنت طردتنى

لم تجبه بيرتا وكانت فى أعماق نفسها تعرف أنها تحب الرجل ولكن شبح الجريمة المنكرة التى كانت تعتقد أنه ارتكبها قد حال بينها وبين الجواب الذى تود من صميم قلبها أن تجيب به

ومشى رلف نحو الصورة التى كان ينظر إليها أولاً ويلاحظ الشبه التام بين صاحب هذه الصورة وبين أخ لبيرتا ؛ ثم عاد إلى الالتفات نحوها وقال : وإذا برهنت لك على براءتى ، فهل تتزوجين منى ؟

فأطالت نظرتها إليه وقالت : ربما ، ولكن من الصعب أن أعد . إنك الآن غريب وإن أخى ...

ثم أحنت رأسها فاغرورقت عينا رلف بالدموع وقال بصوت يدل على التأثر : لقد علمت

قالت بصوت فيه رنة البكاء : هل سمعت ؟

فلم يجبها ولكنه عاد إلى الالتفات للصورة

قالت : لقد كنت أحبه ؛ وبعد ذلك الحادث استقال من منصبه ، وكنت أحاول منعه عن السفر ولكنه سافر وحصل على عمل فى روسيا وقد مات بعد عهد قصير وكنت يوم سفره أشعر بأنى فقدت كل شىء

فقال رلف : لقد كنت معه عند موته

التفتت بيرتا واصفر لونها وابيضت شفتاها وأخذ يقص عليها كيف قام بواجباته فى مدة المرض والاحتضار وبعد الوفاة .

فقالت : شكراً لك يا رلف ولكن كيف قابلته ؟

قال : بعد خروجى من السجن أردت السفر لأتناسى هذه النكبة وعلمت أنه سافر إلى روسيا فسافرت إليها فأدركته فى الوقت الأخير

وكان وهو يتكلم يلاحظ ما يبدو عليها من التأثرات ، فأدرك أنه إلى ما قبل هذه اللحظة لم يكن يعرف مقدار حبها لأخيها

وكره استمرارها على هذه الحالة النفسية فحاول تغييرها وجثا على ركبتيه بالقرب منها وأمسك بيديها وقال : ألا تسمحين يا بيرتا بأن تجعلى لى من قلبك مكان أخيك ؟ إننى أجعل حياتى كلها وقفاً على إسعادك . تعالى نسافر من هنا فنقيم فى مكان بعيد نحاول فيه نسيان هذه الذكريات

فخلّصت بيرتا إحدى يديها من بين يديه ووضعتها فوق رأسه . فشعر رلف فى هذه اللحظة بالسعادة التامة . وقالت : أنت تعرف يا رلف أننى أحبك ولكنك تعرف الذى يحول بينى وبينك . وعليك أن تبرهن على أنه خطأ

قال رلف : إننى لا أستطيع يا بيرتا أن أبرهن على أنى برىء؛ ولكن ألا تثقين بما أقول ؟ إذا كنت تحبيننى فيجب أن تثقى بما أقول

فلم ترفع بيرتا رأسها ولم تجب . فوقف رلف ثم مشى متباطئاً نحو الباب وهو يأمل أن تستوقفه بكلمة . ولكنها لم تتكلم . ففتح الباب ورأسه منحن إلى الأمام ، واجتاز الممر على مهل وهو لا يزال يأمل أن تناديه . فلما صار عند باب الحديقة أخرج من جيبه اعتراف أخيها ومزقه بحالة تدل على أن عزمه على تمزيقه كان نتيجة فكرة فجائية . ووقف ذاهلاً وهو لا يعرف كم وقف

وشعر بيد توضع فوق كتفه ، وصوت رقيق يقول : « إننى يا رلف أكتفى بقولك فإنى أثق بك وبما تقول »

عبد اللطيف النشار

تعليق المترجم

رحم الله الشاعر العربى الذى يقول :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب
لقد ظلموا ذات الوشاح ولم يكن ... لنا فى هوى ذات الوشاح نصيب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)